



فِي رِحَابِ السَّنَةِ الْكَبْرِ الصَّحِيحِ السَّنَةِ

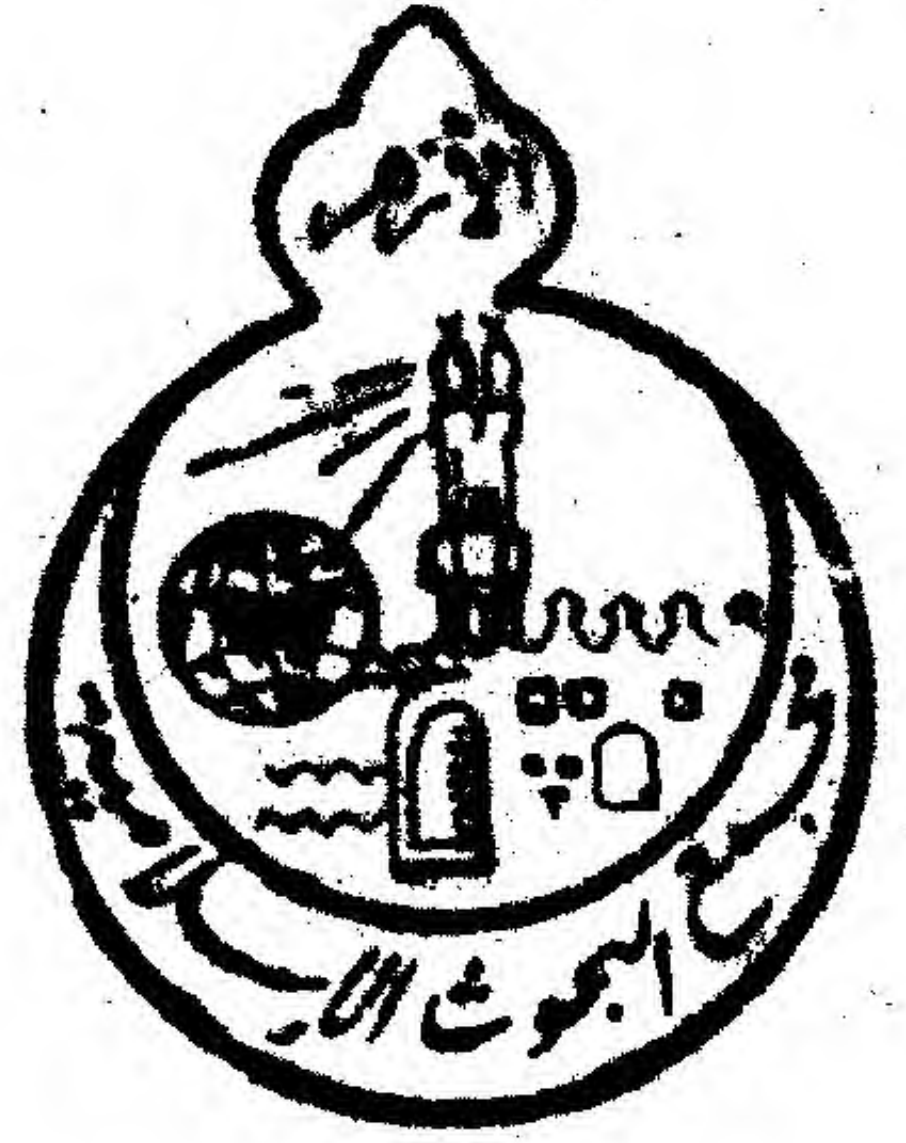
لفضيلة الشيخ
الكتور محمد محمد أبو شربة



السنة السادسة والعشرون - الكتاب الثالث

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

سلسلة البحوث الإسلامية



فِي رِحَابِ السُّنَّةِ
الْكِتَابُ الصَّاحِحُ السُّنِّيُّ

لفضيلة الشيخ
الدكتور محمد محمد أبو شربة

سلسلة البحوث الإسلامية

السنة السادسة والعشرون - الكتاب الثالث

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد السيد أحمد سعود

وكيل الأزهر والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين وبعد :

فإن السنة النبوية الكريمة ، تحتل مكانة عالية ، ومنزلة سامية من نفوس المسلمين ، جعلتهم يهتمون بها جمعا وتدوينا وشرحا ، ولم يحظ علم من العلوم بالاهتمام الذي حظيت به سنة النبي - ﷺ - على امتداد الزمن .

فالسنة بيان للقرآن الكريم ، وشارحة له ، تفصل مجمله ، وتوضح مشكله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتبسط ما فيه من إيجاز ، مصداقا لقوله - تعالى - « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » .

وقد كان النبي - ﷺ - يعين تارة بالقول ، وتارة بالفعل ، وتارة بهما معا ، فقد ثبت عنه أنه قال : « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخارى .

وقال في حجة الوداع : « خذوا عني مناسككم فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا » رواه مسلم .

والسنة النبوية مع بيانها وشرحها وتفصيلها لجمل القرآن الكريم ، قد تستقل بالتشريع كما فى حكم الرجم للزانى المحصن ، وإعطاء السدس للجدة ، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، وبين المرأة وخالتها فى عصمة رجل ، وغير ذلك من أمور التشريع .

لهذا فقد اهتم مجمع البحوث الإسلامية بالسنة فأصدر عددا من الكتب التى تتحدث عنها وعن كتبها ومؤلفيتها ، ولمزيد الاهتمام فقد وجه فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، بإعادة طبع هذا الكتاب : « فى رحاب السنة - الكتب الصحاح الستة » لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة رحمه الله .

نسأل الله - سبحانه - أن ينفع به المسلمين ، وأن
يجزى مؤلفه خير الجزاء ، وبالله التوفيق .

أحمد السيد أحمد سعود

وكيل الأزهر

والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله القائل : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولعلمهم يتفكرون » (١) ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذي أوتى القرآن ومثله معه ، وهي السنة : شارحة للقرآن ، ومبينة له .

« أما بعد » :

فقد قال المعصوم صلوات الله وسلامه عليه : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » وفي رواية : « فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » (٢) .

فلا عجب أن شمر العلماء عن ساعد الجد من لدن الصحابة في جمع الأحاديث والسنن وحفظها وتبليغها للناس ، وقد انقطع الى هذا العمل الجليل أئمة لا يشق لهم غبار في فقه الأحاديث ، ونقدها ومعرفة صحيحها من معلولها ، وجيدها من زائفها - معرفة أوفت على

(١) سورة النحل : ٤٤

(٢) رواه أصحاب السنن وغيرهم .

الغاية ، وما زالوا يحلون ويرتحلون ، ويحفظون
ويكتبون ، ويتخيرون ويتحرون الصدق والحق ،
ويصدفون عن الكذب والباطل ، حتى تركوا لنا في باب
الرواية موسوعات ضخمة ، وثروة طائلة في هذا العلم
النبوي الشريف ، يجد فيها المسلم والباحث عن الحقيقة
ما يشاء من دين ودنيا ، وعقيدة وتشريع ، وأخلاق
وأداب ، ومواعظ وزواجر ، وقصص وتواريخ ، وحكمة
 واجتماع ، وبلاغة وفصاحة .

وسنتناول في هذه الرسالة تعريفا بأشهر كتب
الحديث ومؤلفيها ، وهي الكتب الستة التي اشتملت
على جل الأحاديث الثابتة المعروفة عند المحدثين وهي :

- صحيح البخارى
- صحيح مسلم
- سنن النسائي
- سنن أبى داود
- سنن الترمذى
- سنن ابن ماجه

ومن الله أستمد العون والتوفيق فاللهم أعن وسدد ،

كتبه أبورضا

محمد محمد أبو شهبه

منزلة السنة في التشريع

مرجع الشريعة الإسلامية إلى أصلين كريمين :

الأول : القرآن الكريم .

وهو كلام الله المنزل على سيدنا محمد المعجز بلفظه ،
المتعبد بتلاوته ، المنقول بالتواتر ، المفيد للقطع واليقين
المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر
سورة الناس وهو هداية الخالق للخلق ، وشريعة السماء
لأهل الأرض ، ختم الله به الكتب السماوية ، وناط به
سعادتي الدنيا والآخرة .

وقد أنزله الله سبحانه على نبيه محمد ﷺ في اثنتين
وعشرين ونصف سنة تقريبا ، نزل به أمين الوحي
جبريل عليه السلام بلفظه ، وأوحاه إلى النبي وحيا
ظاهرا في اليقظة لا في المنام ولا عن طريق الإلهام ثم
بلغه النبي ﷺ إلى الأمة كما أنزل عليه .

والقرآن الكريم كلام الله سبحانه ليس لجبريل ولا
للنبي فيه إلا البلاغ من غير تزيد ولا نقصان ، ولا
تحريف ولا تبديل .

وقد تلقاه من النبي ﷺ العدد الكثير من الصحابة ،
وعن الصحابة تلقاه الألوف من التابعين ، وعن التابعين
حمله ألوف ممن بعدهم ، وهكذا في كل جيل وعصر ،
حتى وصل إلينا كله ، كما أنزل على نبيه محمد وحيا
أمينا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

الثاني : السنة .

وهي في اصطلاح المحدثين : أقوال النبي ﷺ ،
وأفعاله ، وتقريراته ، وصفاته الخلقية والخلقية .

وزاد بعض العلماء أقوال الصحابة والتابعين
وأفعالهم ويشهد لهؤلاء ما ورد في الحديث الصحيح :
« عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من
بعدي عضوا عليها بالنواجذ » ، رواه أبو داود
والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

ومعنى التقرير أن يقول أحد قولا ، أو يفعل فعلا
أمام النبي ﷺ ولا ينكره عليه ، أو لا يكون أمامه ولكن
يبلغه فيسكت عنه فسكوته وعدم إنكاره تقرير له ،
يكتسب به صفة الشرعية ، إذ حاشاه ﷺ أن يقر أمرا
غير مشروع فيما يرجع الى الأحكام ، والحلال والحرام .
والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث عند كثير من
العلماء .

منزلة السنة من القرآن

القرآن هو الأصل الأول في التشريع الاسلامي ،
والسنة هي الأصل الثاني ، ومنزلة السنة من القرآن
أنها مبينة له وشارحة : تفصل مجمله ، وتوضح مشكله ،
وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتبسط ما فيه من
إيجاز ، قال الله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين
للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » .

وقد كان النبي - ﷺ - يبين تارة بالقول وتارة
بالفعل ، وتارة بهما معا ، وقد ثبت عنه أنه قال :
« صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخاري ، وقال في
حجة الوداع : « خذوا عني مناسككم فلعلى لا ألقاكم
بعد عامي هذا » رواه مسلم .

أمثلة من بيان السنة للقرآن

قال الله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة (١) »
ولم يرد في القرآن بيان عدد الصلوات ولا كيفيتها
فجاءت السنة فبينت ذلك ، وكذلك لم يرد بيان متى

(١) سورة البقرة : ٤٣

تجب الزكاة؟ وأنصبتها، ومقدار ما يخرج فيها، وفيما
تجب فجاءت السنة فبينت كل ذلك .

وقال تعالى: « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما
جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم (١) » ولم
يبين ما هي السرقة؟ وما النصاب الذي يحد فيه
السارق؟ ومن أي موضع يكون القطع؟ فبينت السنة
كل ذلك .

ولما استشكل بعض الصحابة قوله تعالى: « الذين
آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم
مهتدون (٢) » وقالوا أين لم يظلم؟ بين لهم النبي ﷺ
أن المراد بالظلم: الشرك، واستدل بقوله سبحانه في
آية أخرى: « إن الشرك لظلم عظيم (٣) » .

كما فسر لهم الحساب اليسير بالعرض في قوله سبحانه
« فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا
يسيرا . وينقلب إلى أهله مسرورا (٤) » والمراد عرض
الأعمال من غير مناقشة .

(١) سورة المائدة: ٣٨

(٢) سورة الأنعام: ٨٢

(٣) سورة لقمان: ١٣

(٤) سورة الانشقاق: ٧ - ٩

وقد كان الصحابة ومن بعدهم يعلمون هذه الحقيقة،
روى ابن المبارك عن عمران بن حصين أنه قال لرجل :
إنك رجل أحقق أتجد الظهر في كتاب الله أربعا لا يجهر
فيها بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو
هذا ، ثم قال : أتجده في كتاب الله مفسرا ؟ إن كتاب
الله أبهم هذا ، وإن السنة تفسر الكتاب وتبينه .



استقلال السنة بالتشريع

وقد تستقل السنة بالتشريع في بعض الأحيان، وذلك كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها وتحريم سائر القربات من الرضاعة - عدا ما نص عليه في القرآن - إلحاقاً لهن بالمحرمات من النسب، وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير .

وتحليل ميتة البحر من السمك، إلى غير ذلك من الأحكام التي زادت بها السنة عن الكتاب (١) .



(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٧ - ٣٩

حجية السنة

وقد اتفق العلماء الثقات على حجية السنة سواء منها ما كان على سبيل البيان أو على سبيل الاستقلال قال الامام الشوكاني : إن ثبوت حجية السنة المطهرة ، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ، ولا يخالف في هذا إلا من لا حظ له في الإسلام (١) .

وصدق الشوكاني فإنه لم يخالف في هذا إلا شردمة من الخوارج والروافض لا يقام لهم وزن في معيار البحث العلمي السليم .

وقد استفاض القرآن والسنة الصحيحة بحجية كل ما ثبت عن الرسول فمن ذلك :

قول الله سبحانه : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٢) » .

وقوله جل شأنه : « من يطع الرسول فقد أطاع الله (٣) » .

(١) ارشاد الفحول ص ٣٩

(٢) سورة الحشر : ٧

(٣) سورة النساء : ٨٠

« فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
أو يصيبهم عذاب أليم (١) » .

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان
يرجوا الله واليوم الآخر (٢) » .

أما الأحاديث فكثيرة منها ما رواه الامام أبو داود
في سننه بسنده عن المقدم بن معد يكرب أن رسول
الله ﷺ قال : « ألا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه ،
ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول : عليكم
بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحطوه ، وما وجدتم
فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ،
ولا كل ذي ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد إلا أن
يستغنى عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن
يقروه فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم (٣) بمثل قراه » .

فالمراد بقوله : « ومثله معه » هي الأحاديث والسنن .

(١) سورة النور : ٦٣

(٢) سورة الأحزاب : ٢١

(٣) روى مخففا ومشددا من المعاقبة أي يأخذ من أموالهم بقدر
ضيافته وهذا يدل على منزلة التكافل الاجتماعي في الإسلام .

وقد دل الحديث على معجزة النبي ﷺ ، فقد
ظهرت فئة في القديم والحديث تدعوا الى هذه الدعوة
الخبیثة وهى الاكتفاء بالقرآن عن الأحاديث ، وغرضهم
هدم نصف الدين ، أو إن شئت فقل : تقويض الدين
كله ، لأنه اذا أهملت الأحاديث فسيؤدى ذلك - ولا
ريب - الى استعجام معظم القرآن على الأمة ، وعدم
معرفة المراد منه ، واذا أهملت الأحاديث ، واستعجم
القرآن فقل : على الاسلام العفاء .

وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - اذا عرض
لهم أمر طلبوا حكمه :

في كتاب الله .

فإن لم يجدوه طلبوه في السنة .

فإن لم يجدوه اجتهدوا في حدود القرآن والسنة
وأصولهما .

ونحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه أصل في هذا
فقد قال له النبي ﷺ لما بعثه الى اليمن : « بم تقضى
اذا عرض لك قضاء ؟ » .

- قال : بكتاب الله .
- قال : فإن لم تجد .
- قال : بسنة رسول الله .
- قال : فإن لم تجد .
- قال : أجتهد رأيي ولا آلو - أي أقصر - .
- فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال :
- « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله
ورسوله » .



حديث عرض السنة على القرآن موضوع

أما الحديث الذي يرويه القائلون بعدم حجية السنة عند الاستقلال وهو : « إذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه ، وما خالف فاتركوه » فقد بين أئمة الحديث ونقاده أنه موضوع ، وضعته الزنادقة كي يصلوا الى غرضهم فى تقويض دعامة من دعائم الدين ، وقد دلى على بطلان هذا الحديث المزعوم بعض الأئمة فقالوا : عرضنا هذا الحديث على كتاب الله فخالفه لأننا وجدنا فى كتاب الله : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

• ووجدنا فيه « من يطع الرسول فقد أطاع الله (١) » .



(١) ارشاد الفحول للشوكانى ص ٢٩

عناية الصحابة بالأحاديث النبوية

ولمكانة الأحاديث من التشريع ، ومنزلتها من القرآن الكريم عنى الصحابة بالأحاديث النبوية عناية فائقة ، وحرصوا عليها كحرصهم على القرآن فحفظوها بلفظها أو بمعناها وفهموها ، وعرفوا مقاصدها بفطرتهم العربية ، وبما كانوا يسمعون من إرشاداته ﷺ وما كانوا يشاهدون من أفعاله وأخلاقه ، وما كانوا يعلمونه من الظروف والملابسات التي قيلت فيها هذه الأحاديث ، وما كان يشكل عليهم منها ولا يدركون المراد منه يسألون عنه النبي ﷺ .

وقد بلغ من حرصهم على سماع الوحي والسنن أنهم كانوا يتناوبون في هذا . روى البخارى في صحيحه عن عمر قال : « كنت أنا وجار لى من الأنصار في بنى أمية بن زيد (١) وهى من عوالى المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوما ، وأنزل يوما فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك (٢) » . وبذلك جمعوا بين خيرى

(١) فى ناحية بنى أمية سميت البقعة باسم من نزلها .

(٢) صحيح البخارى « كتاب العلم - باب التناوب فى العلم » .

الدنيا والآخرة فما شغلتهم دنياهم عن دينهم ، ولا شغلهم دينهم عن دنياهم .

وإذا علمت أن القرآن والسنة استفاضاً ببيان فضل العلم والعلماء وأن الصحابة كانوا يعلمون أن السنة هي الأصل الثاني للتشريع ، وأنهم كانوا يحبون رسول الله أكثر من حبهم لأنفسهم ، وأنهم كانوا يجدون في الاستماع إليه لذة وروحانية ، وأنهم كانوا يعتقدون أنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وأنهم كانوا يجدون فيما يسمعون منه غذاء الإيمان (١) وزاد التقوى ، وأنه سبيل إلى الجنة (٢) .

إذا علمنا كل هذا أدركنا مبلغ حرص الصحابة على استماع الأحاديث وعنايتهم بها ، وأن ذلك أمر يكاد يكون من البدهيات المسلمات ، وكذلك عنوا بتبليغ الأحاديث والسنن ، لأنهم يعلمون أنها دين ، واجب البلاغ للناس عامة ، وتشريع عام خالد ، وكثيراً ما كان

(١) كان الواحد منهم يقول لصاحبه وهو ذاهب إلى مجلس رسول الله : تعال نؤمن ساعة .

(٢) في الحديث الذي رواه مسلم : « من سلك طريقاً يطلب به علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة » .

النبي يحضهم على البلاغ والأداء بمثل قوله : « نضر
الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب
مبلغ أوعى من سامع » .

رواه الشافعي والبيهقي في المدخل .

وفي خطبته المشهورة في حجة الوداع قال : « ليبلغ
الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو
أوعى منه » . رواه البخاري في صحيحه .

وكان اذا قدم عليه صلى الله عليه وسلم وقد علمهم من القرآن والسنة
وأوصاهم بأن يحفظوه ويبلغوه ففي صحيح البخاري
أنه قال لوفد عبد القيس : « احفظوه وأخبروه من
وراءكم » وفي حديث آخر قال : « ارجعوا الى أهلکم
فعلموهم (١) » .

(١) فتح الباري ج ١ ص ١٢٨ ، ١٤٩

النهي عن كتابة الأحاديث في العصر النبوي

ولم تكن الأحاديث مدونة في عصر النبي ﷺ تدوينا عاما كالقرآن وذلك لأمرين :

١ - الاعتماد على قوة حفظهم ، وسيلان أذهانهم ، وعدم توفر أدوات الكتابة فيهم .

٢ - لما ورد من النهي عن كتابة الأحاديث فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « لا تكتبوا عني شيئا إلا القرآن ومن كتب شيئا فليمحه » .

والظاهر أن النهي عن الكتابة كان خشية أن يلتبس على البعض بالقرآن الكريم أو أن يكون شاغلا لهم عن القرآن ، أو النهي كان بالنسبة لمن يوثق بحفظه .

أما من أمن عليه اللبس بأن كان قارئًا كاتبًا أو خيف عليه النسيان فلا حرج عليه في الكتابة .

وعلى هذا يحمل ما ورد من الروايات الثابتة الدالة على الإذن لبعض الصحابة في كتابة الأحاديث ، ففي

صحيح البخارى عن أبى هريرة قال : « لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب وأنا لا أكتب ، ومثل عبد الله من يؤمن عليه الالتباس .

وفى الصحيحين أن أبا شاه اليمنى التمس من النبى ﷺ أن يكتب له شيئاً سمعه من خطبته عام الفتح فقال : اكتبوا لأبى شاه .

وفى صحيح البخارى أن علياً رضى الله تعالى عنه كان عنده صحيفة فيها بعض السنن والأحاديث (١) وفى سنن الترمذى أن رجلاً من الأنصار كان يجلس الى رسول الله ﷺ فيسمع منه الحديث ، فيعجبه ولا يحفظه فشكا ذلك الى رسول الله ﷺ فقال : « استعن بيمينك » وأوماً بيده الى الخط .

وثبت أن رسول الله كتب كتاب الصدقات والديات ، والفرائض ، والسنن لعمر بن حزم وغيره (٢) .

(١) صحيح البخارى « كتاب العلم - باب كتاب العلم » .

(٢) مفتاح السنن ص ١٨ .

ومن العلماء من يرى أن أحاديث الإذن في الكتابة
ناسخة لحديث النهي ، وأن ذلك كان في مجيء الأمر لما
ذكرنا آنفا فلما أمن من اللبس أو الاشتغال بها عن
القرآن أذن في ذلك .

ولعل ما يؤيد هذا الرأي أن أحاديث الإذن متأخرة
التاريخ ، فأبو هريرة أسلم عام سبع ، وقصة أبي شاه
كانت في السنة الثامنة ومهما يكن من شيء فقد انقضى
العهد النبوي والذين كتبوا الأحاديث عدد غير كثير ،
ولكن كان يحفظها ويحافظ عليها الكثيرون .



كتابة الحديث بعد وفاة النبي

وما إن جاور الرسول الرفيق الأعلى حتى كثر عدد من كان يكتب الحديث من الصحابة والتابعين روى عن سعيد بن جبير (١) أنه كان يكون مع ابن عباس - رضي الله عنهما - فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرجل فإذا نزل نسخه .

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه (٢) قال : « كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما يسمع ، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس » .

وعن هشام بن عروة عن أبيه (٣) أنه احترقت كتبه يوم الحرة في خلافة يزيد وكان يقول : « لو أن عندي كتبى بأهلى ومالى » .

(١) هو سعيد بن جبير من خيار التابعين وفقهائهم وقد قتله الحجاج سنة خمس وتسعين .

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن ذكوان القدسي المدني الفقيه التابعي توفي سنة ثلاثين ومائة .

(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام التابعي الجليل ، واحد الفقهاء السبعة توفي سنة تسعين ونيف .

وقد هم الفاروق عمر - رضى الله تعالى عنه - أن
يجمع الأحاديث ويكتبها واستشار أصحاب رسول الله
ﷺ فأشاروا عليه فطفق يستخير الله في ذلك شهرا ولكن
الله لم يرد له .



تدوين الحديث تدوينا عاما

واستمر الأمر على ذلك : البعض يكتب الحديث ،
والبعض لا يكتب معتمدا على ذاكرته وقوة حفظه الى
أن كان عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز - رضى
الله تعالى عنه - فرأى جمع الأحاديث والسنن وتدوينها
تدوينا عاما وذلك خشية أن يضيع منها شيء بموت
حافظيها ، أو خشية التباس الباطل بالحق فقد اتسعت
رقعة البلاد الاسلامية ، ودخل في الاسلام من كل جنس
ولون ، وفي هؤلاء المخلص للاسلام وغير المخلص ،
ووجد بعض المتزندقة الذين كان من أغراضهم الإفساد
في الدين بالاختلاق والحس فيه ما ليس منه كما نشأ
بعض الخلافات السياسية والمذهبية والجنسية ، التي
كانت سببا من أسباب اختلاق الأحاديث .

وكانت ولاية هذا الخليفة الراشد على رأس المائة
الأولى سنة تسع وتسعين من الهجرة ، فكتب الى بعض
المبرزين من العلماء في الأمصار وأمرهم بجمع
الأحاديث وكتب الى عماله يأمرهم بذلك ، روى مالك
في الموطأ - رواية محمد بن الحسن - أن عمر بن

عبد العزيز كتب الى ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (١) : أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سننه أو حديث عمر أو نحو هذا فاكتبه ، فإنني خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء ، وأوصاه أن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وخرجه البخاري في صحيحه تعليقا .

وأخرج أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى أهل الآفاق : انظروا الى حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه .

وممن كتب اليه الخليفة العادل ، الامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (٢) .

(١) هو فقيه تابعي استعمله عمر بن عبد العزيز على امرة المدينة، وولاه قضاءها ولا يعرف له اسم غير ابي بكر وقيل كنيته : أبو عبد الملك ، ولجده عمرو صحبة للنبي ، ولأبيه رؤية توفى سنة عشرين ومائة .

(٢) هو أحد الأئمة الأعلام ، وعالم الحجاز والشام ، المتوفى سنة أربع وعشرين ومائة .

نشاط الأئمة في التدوين

وقد قام العلماء في كل مصر بما ندبوا إليه خير قيام ، وأقبلوا على جمع الأحاديث والسنن وتمحيصها ، وتمييز صحيحها من سقيمها ، وجيدها من زائفها ولم يعد من السلف من كان يتخرج من الكتابة ، وبذلك ارتفع الخلاف واستقر الأمر ، وانعقد الاجماع على جواز كتابة الأحاديث ، بل على استحبابها ، بل على وجوبها على من يتعين عليه تبليغ العلم (١) .

وبذلك أخذت الحركة العلمية التدوينية في الحديث في الازدهار ، وتجرد لهذا العمل الجليل قوم عرفوا بالأمانة والصدق ، والتحرى والتثبت ، وجافوا المضاجع ولازموا الدفاتر والمحابر ، وحرصوا على لقاء الشيوخ والأخذ من الأفواه ، وسهروا في سبيل ذلك الليالي الطوال ، وقطعوا الفيافي والقفار ، وطوفوا في البلدان والأقاليم ، وضربوا في باب الارتحال في سبيل العلم على ما كانوا عليه من قلة المؤونة ، وعسر وسائل السفر والارتحال مثلا عليا تجعلهم في عداد العلماء الخالدين .

(١) فتح الباري ج ١ ص ١٦٥

شيوخ التدوين في الحديث

ثم شاع التدوين في الطبقة (١) التي تلى طبقة الزهري
وأبى بكر بن حزم فالف أبو محمد عبد الملك بن
عبد العزيز بن جريج المتوفى سنة ١٥٠ هـ مكة .

ومعمر بن راشد المتوفى سنة ١٥٣ هـ باليمن .

وأبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعي المتوفى سنة
١٥٦ هـ بالشام .

وسعيد بن أبى عروبة المتوفى سنة ١٥١ هـ .

والربيع بن صبيح المتوفى سنة ١٦٠ هـ .

وحماد بن سلمة المتوفى سنة ١٧٦ هـ بالبصرة .

ومحمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ .

والامام مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ بالمدينة .

(١) الطبقة في اصطلاح المحدثين : عبارة عن جماعة اشتركوا في
السن ولقاء الشيوخ .

وأبو عبد الله سفيان الثوري المتوفى سنة ١٦١ هـ
بالكوفة .

• وعبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ بخراسان .

• وهشيم بن بشير المتوفى سنة ١٨٨ هـ بواسط .

• وجريير بن عبد الحميد المتوفى سنة ١٨٨ هـ بالرى .

• والليث بن سعد المتوفى سنة ١٧٥ هـ بمصر .

وكان منهج المؤلفين في هذا القرن جمع الأحاديث

مختلطة بأقوال الصحابة ، وفتاوى التابعين .

ومما يؤسف أنه لم يصلنا من مؤلفات هذا الطور من

أطوار التدوين إلا موطأ الامام الجليل مالك ، ووصف

لبعض المؤلفات الأخرى ، أو أجزاء مخطوطة مبعثرة

هنا وهناك في دور الكتب في الشرق والغرب ، بل إن

بعض مخطوطاتنا النادرة لا توجد إلا في مكتبات الغرب

وقد كانت الحملات الباغية الظالمة التي تعرضت لها

بلاد الاسلام كحملات التتار والصليبيين من الأسباب

في ضياع الكثير من تراثنا العلمى المدون في هذه الكتب ،

والسطو على بعضه والاستئثار به .

العصر الذهبى لتدوين الحديث

(٢٠٠ - ٣٠٠ هـ)

ثم حدثت خطوة أخرى فى تدوين الحديث وهى أفراد حديث رسول الله ﷺ خاصة وذلك على رأس المائتين .

وهؤلاء المؤلفون منهم من ألف على المسانيد وذلك بأن يجمع المؤلف أحاديث كل صحابى على حدة من غير تقييد بوحدة الموضوع فحديث فى الصلاة بجانب حديث فى الزكاة بجانب حديث فى البيوع مثلا ، والمعول عليه عند أصحاب هذا المنهج فى التأليف وحدة الصحابى وأصحاب هذه الطريقة : منهم : من يرتب الصحابة على حسب السبق فى الاسلام .

فقدم العشرة المبشرين بالجنة (١) .

(١) هم السادة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ابن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ابن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح .

• ثم أهل بدر •

• ثم أهل الحديبية •

• ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح •

• ثم من أسلم يوم الفتح •

• ثم أصغر الصحابة سنا •

• ثم النساء الراويات •

وخير من يمثل هذا اللون في التأليف في هذا العصر

• هو الامام الجليل أحمد بن حنبل في مسنده المشهور •

• ومنهم : من رتبهم على حروف المعجم •

فبدأ بمن أول اسمه « حرف الألف » ثم « حرف

الباء » وهكذا •

وخير من يمثل هذه الطريقة بعد هذا العصر ، الامام

أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ في كتابه

« المعجم الكبير » •

وممن ألف على المسانيد أيضا :

- اسحاق ابن راهويه المتوفى (سنة ٢٣٨ هـ)
- وعثمان بن أبى شيبة المتوفى (سنة ٢٣٩ هـ)
- ويعقوب بن أبى شيبة المتوفى (سنة ٢٦٣ هـ) وغيرهم
- كثيرون

ومن أهل هذا العصر من ألف على الأبواب الفقهية ونحوها فيبدأ بكتاب الصلاة مثلاً .

• ثم بالزكاة • ثم بالصوم

• ثم بالحج

• ثم بالبيوع

• ثم بالرهن وهكذا . . .

وأصحاب هذه الطريقة منهم :

١ - من تقيد في تأليفه بالأحاديث الصحاح كالإمامين :

• البخارى ومسلم

ب - ومنهم من لم يتقيد في تأليفه بالصحيح بل ذكر

الصحيح والحسن بل والضعيف مع التنبيه على درجة

الحديث أحيانا ، ومع عدم التنبيه أحيانا أخرى اعتمادا على ذكر السنة ، واتكالا على نقد القارىء للأسانيد والمتون وتمييزه بين الصحيح والحسن والضعيف ، ولاسيما وأن هذا التمييز ما كان يستعصى على طلاب الحديث في هذه العصور فضلا عن أئمة ويمثل هذه الطريقة أصحاب السنن الأربعة وهم : الأئمة أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه .

وقد كان القرن الثالث الهجرى هو العصر الذهبى فى تاريخ السنة وجمعها ، ففيه ظهر كبار أئمة الحديث ونقاده ، وفيه أشرقت شمس الكتب الستة وأمثالها التى كادت تشتمل على ما ثبت من الأحاديث ولا يغيب عنها إلا النذر اليسير ، والتى يعتمد عليها الفقهاء والمجتهدون ، والعلماء والمؤلفون ويجد فيها طلبتهم الهداة والمصلحون ، والمتأدبون والأخلاقىون ، وعلماء النفس والاجتماع .

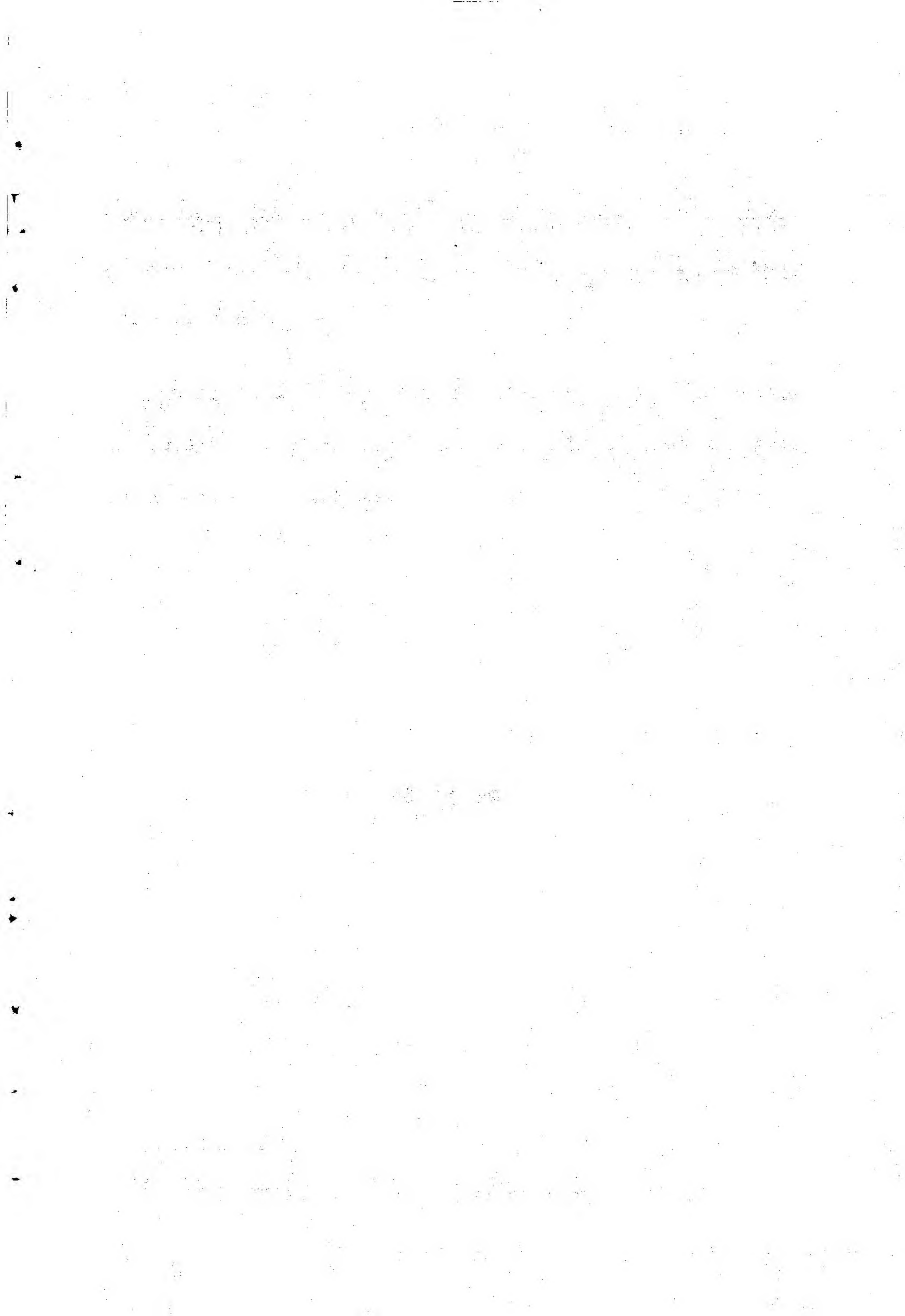
ونحن حينما نقتصر من كتب هذا العصر الذهبى على الكتب الستة فما ذلك إلا لأنها الكتب التى طبقت شهرتها الآفاق ، واستأثرت بعناية العلماء فى كل عصر وقطر ، وإلا فهناك غيرها كثير ، ومن أراد زيادة يقين فى هذا فليرجع الى كتاب « كشف الظنون فى أسامى

العلوم والفنون « (١) وسيرى عشرات الكتب
والموسوعات التي ألفت في هذا القرن ، والتي لم يبق
منها إلا القليل .

وإذ قد انتهينا الى هذا فلنقدم بين يدي التعريف
بالكتب الستة وأصحابها بحوثا نراها لازمة لرواد
البحث وطلاب الحقيقة .



(١) مفتاح السنة ص ٣٣ ، ٣٤ عن كتاب « كشف الظنون » .



الرحلة في سبيل العلم والحديث

إن ما يتميز به أئمة العلم في الاسلام ولاسيما أئمة الحديث كثرة الارتحال وملازمة الأسفار ، وقد جروا في ذلك على سنن الصحابة والتابعين ، لقد كان الواحد منهم يبلغه الحديث بطريق الثقات فلا يكتفى بهذا بل يرحل الأيام والشهر والشهور حتى يأخذ الحديث عن رواه بلا واسطة .

وقد ثبت في صحيح البخارى أن جابر بن عبد الله الأنصارى الصحابى رحل مسيرة شهر الى عبد الله بن أنيس (١) وهو بالشام في سبيل حديث كما رحل الى مسلمة بن مخلد في سبيل حديث أيضا وكان مسلمة أميرا على مصر ، ورحل السيد الجليل أبو أيوب الأنصارى الى عقبة بن عامر الجهنى بسبب سماع حديث رواه أحمد بسند منقطع ، وروى أبو داود في سننه من طريق عبد الله بن بريدة أن رجلا من الصحابة رحل الى فضالة ابن عبيد وهو بمصر في حديث (٢) .

(١) بضم الهمزة مصغرا وهو الجهنى حليف الأنصار .
(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١ ص ١٤١ ، ١٤٢ .

وعلى هذا الدرب الواضح سار التابعون ومن جاء بعدهم من أئمة العلم والحديث ، روى الخطيب البغدادي عن عبيد الله بن عدي قال : بلغني حديث عند علي فخفت إن مات أن لا أجده عند غيره ، فرحلت حتى قدمت عليه العراق ، وروى الامام مالك عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد ، وأخرج الخطيب عن أبي العالية قال : كنا نسمع عن أصحاب رسول الله ﷺ فلا نرضى حتى خرجنا اليهم فسمعنا منهم .

وقال الشعبي في مسألة أفتى فيها : أعطيناها بغير شيء كان يرحل فيما دونها الى المدينة ، وروى الدارمي بسند صحيح عن بسر بن عبيد الله قال : إن كنت لأركب الى مصر من الأمصار في الحديث الواحد ، وقال أبو قلابة : لقد أقمت بالمدينة ثلاثة أيام مالى حاجة إلا رجل يقدم عنده حديث فأسمعه .

وقيل للإمام أحمد : رجل يطلب العلم يلزم رجلا عنده علم كثير أو يرحل ؟ قال : يرحل يكتب عن علماء الأمصار .

وذكر الامام الذهبي في تذكرته عن أبي حاتم الرازي

قال : أول ما دخلت أقيمت سبع سنين ، ومشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ ، وخرجت من البحرين الى مصر ماشيا ، ثم الى الرملة ماشيا ، ثم الى طرطوس ولى عشرون سنة .

وما أبو حاتم إلا واحد من آلاف من أئمة الحديث الذين ارتحلوا وتحملوا المشاق في سبيل التثبيت من الأحاديث والتحرى عن الرواة ويأتى في الرعيلى الأول منهم : الأئمة : البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وإن منهم من لم يذق طعم الراحة والاستقرار طيلة حياته .

ومهما يكن من شىء فقد ضرب العلماء المسلمون ولاسيما المحدثون فى باب الارتحال فى سبيل المعرفة والبحث عن الحقيقة - على ما كانوا عليه من قلة المؤنة وعسر وسائل السفر آنئذ - مثلا عليا تؤكد لهم السبق فى هذا المضمار وتجعلهم فى عداد العلماء الخالدين .

والعجب من بعض الناس أنهم اذا وقفوا على خبر بعض الرحالة الأجانب فى هذا الزمان فانهم يطنطنون بذلك ويبالغون ، وما علموا أن أسلافهم وأجدادهم العرب هم الذين سنوا هذه السنة الحسنة ، وأنهم ضربوا فى ذلك أروع المثل وأحقها بالاشادة والتقدير .

The first part of the document is a list of names and addresses. It includes names such as John Smith, Mary Jones, and Robert Brown, along with their respective street addresses and cities. The list is organized in a tabular format with columns for names, addresses, and cities.

The second part of the document contains a list of names and addresses, similar to the first part. It includes names like William Green, Elizabeth White, and Thomas Black, with their addresses and cities. The format is consistent with the first section.

The third part of the document lists names and addresses, including Charles King, Susan Lee, and James Hall. The entries are presented in a structured list with columns for names, addresses, and cities.

The fourth part of the document continues the list of names and addresses, featuring names such as David Clark, Margaret Evans, and Henry Scott. The layout remains consistent with the previous sections.

The fifth part of the document lists names and addresses, including names like George Adams, Anne Baker, and William Carter. The entries are organized in a clear, tabular format.

The final part of the document lists names and addresses, including names like Richard Davis, Sarah Evans, and Joseph Foster. The list concludes the document in the same structured format.

مميزات الرواية في الإسلام

الرواية وإن كانت قديمة ومعروفة قبل الإسلام إلا أن الرواة قبل الإسلام من العرب وغيرهم ما كانوا يهتمون بتصحيح الأخبار والتحري عن رواياتها، والبحث عن صدقها، ومطابقتها للحق والواقع ولم يكن عندهم من صفة النقد والجرح والتعديل وتمحيص المرويّات مثل ما كان للرواية بعد الإسلام، وذلك لأن مروياتهم لم يكن لها من القداسة والتقدير ما للمرويّات الإسلامية فمن ثم لم يدققوا فيها ولذلك تجد أغلبها أساطير وأحاديث خرافة يقصد بها إشباع الرغبة أو التسلية، أو بث روح الإقدام والشجاعة، واستنهاض الهمم وإشارتها للحروب.

أما الرواة الإسلاميون فهم يعلمون حق العلم أن مرجع الأحكام الشرعية والحلال والحرام إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، ويعلمون أن التساهل في زيادة شيء من الدين كالتساهل في نقص شيء منه.

والقرآن ثابت بالتواتر المفيد للقطع واليقين، فلا

مجال للشك فيه فكان لابد لهم من التأكد من صحة نسبة الأحاديث والسنن الى رسول الله ﷺ .

فمن ثم شددوا في الرواية ووضعوا لها شروطا وأصلوا لها أصولا وقواعد هي أدق وأرقى ما وصل اليه علم النقد قديما وحديثا ، فهذا القدر وهو الاعتناء بتصحيح الأخبار والتثبت منها ونقدها من جهة السند والمتن نقدا علميا صحيحا هو الذي اختصت به الرواية الاسلامية وحدها .

قال العلامة ابن حزم - رحمه الله - في كتابه الملل والنحل ما خلاصته :

إن نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الأمم .

وأما مع الإرسال والإعضال (١) فيوجد في كثير من اليهود ، ولكنهم لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أزيد من ثلاثين عصرا في أزيد من ألف وخمسمائة عام وإنما يبلغون بالنقل الى شمعون ونحوه .

(١) المرسل من الحديث: ما حذف من سنده الصحابي ، والمعضل: ما حذف من سنده أثنان فصاعدا على التوالي والارسال والاعضال يخلان باتصال السند .

وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا
تحريم الطلاق وحده فقط على أن مخرجه من كذاب
قد ثبت كذبه .

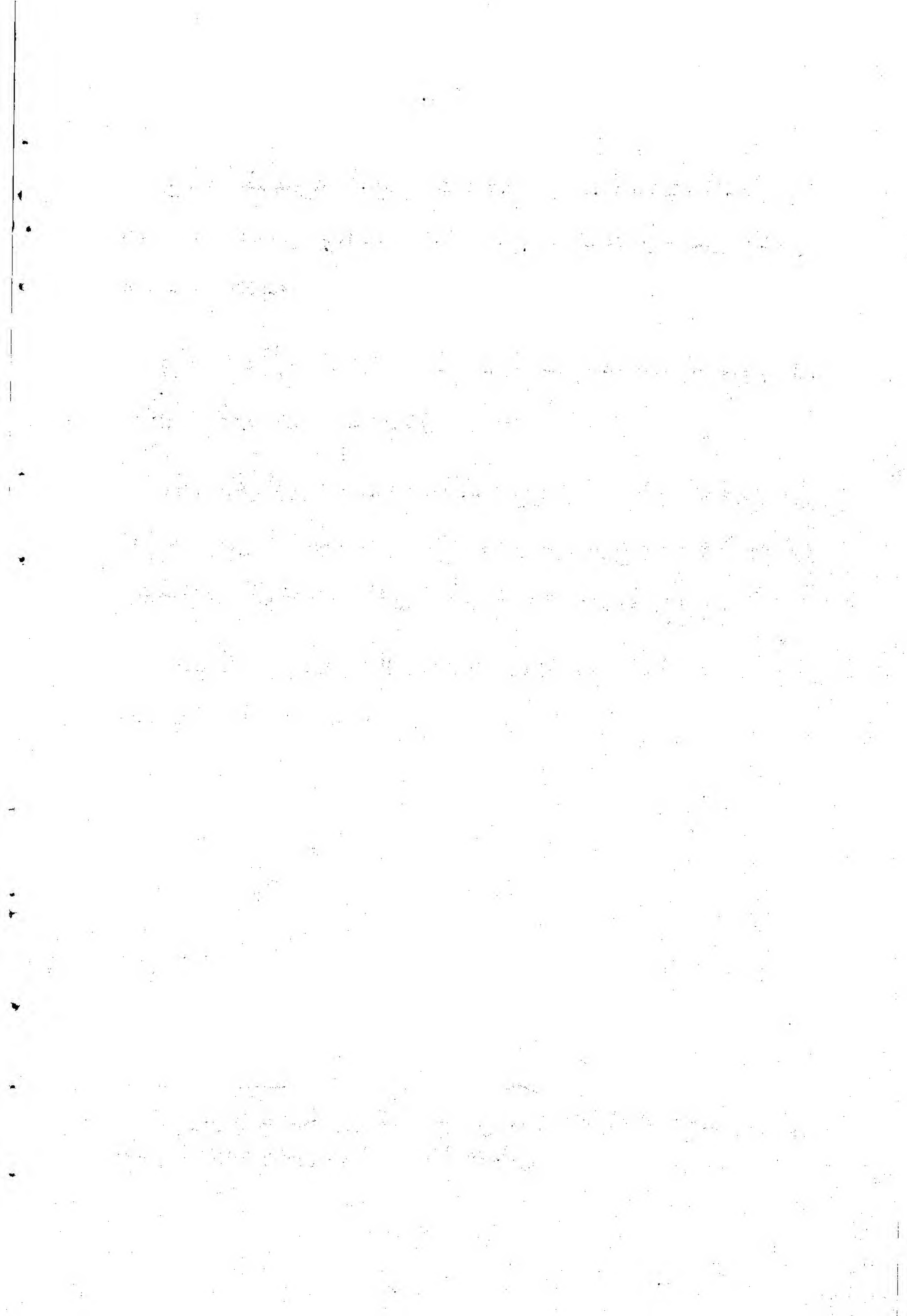
وأما النقل بالطريق المشتمة على كذاب أو مجهول
العين فكثير في نقل اليهود والنصارى .

وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن اليهود أن
يبلغوا إلى صاحب نبي أصلا ولا إلى تابع له ، ولا يمكن
النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولس (١) .

وهو كلام رجل عالم عارف بالملل والنحل ، وتاريخ
الأديان والمذاهب .



(١) راجع مقدمة ابن الصلاح ص ٢١٥ « الباعث الحثيث إلى
علوم الحديث » ص ١٨٩ ، ١٩٠ هامش .



الاسلام يدعو الى التثبيت في الرواية

الاسلام يدعو الى تعرف الحق ، وطلب الصواب ، وتحري الصدق والتثبيت فيما يسمعه المرء ويراه ، وفيما ينقل اليه ، وقد استفاض بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية ، ففي الكتاب قال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (١) أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٢) » ، وقال : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا (٣) » .

وحذر النبي ﷺ من الكذب بعامة ، والكذب عليه بخاصة .

فمن ذلك الحديث المتواتر الذي رواه الشيخان وغيرهما عن النبي ﷺ قال : « إن كذبا على ليس ككذب

(١) في قراءة حمزة والكسائي « فتثبتوا » وهي متواترة والمعنى واحد .

(٢) سورة الحجرات : ٦

(٣) سورة الاسراء : ٣٦

على أحد ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» .

وقال : « من حدث بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين (١) » .

وقال : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » رواهما مسلم في صحيحه .



(١) روى « يرى » بضم الياء بمعنى يظن ويفتحها بمعنى يعلم و « الكاذبين » روى على صيغة التثنية والجمع .

التثبت في عهد الصحابة

وعلى سنة التثبت في الرواية ، والتحرى عن الرواة ، والاستيثاق من المرويات سار الخلفاء الراشدون فقد كان أبو بكر وعمر يطلبان في بعض المرويات شاهداً آخر مع الراوى ، وكان على إذا حدثه غيره استخلفه فإذا حلف صدقه ، وكان يقول : « حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتحبون أن يكذب الله ورسوله (١) » .

وقد اتبع هذا المنهج في التثبت سائر الصحابة الكثير منهم في الرواية والمقل ، فهذا عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - يقول : « كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع » ويقول : « ما أنت تحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم (٢) » وهى دعوة الى تحرى الحق والصدق ، وتخير ما يليق بحال السامعين ، وهو من أسس التربية الصحيحة التى سبق اليها الاسلام من منذ قرابة أربعة عشر قرناً .

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤ ، ٦ ، ١٠ ، ١٢

(٢) المرجع السابق ص ١٥

التثبت في عهد التابعين ومن بعدهم

وسار على سنة التثبت من المرويات والتدقيق فيها التابعون ، ومن جاء بعدهم ، وقد وردت عنهم أقوال صريحة تدل على ذلك ففي صحيح الامام مسلم عن ابن سيرين قال : « إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم » .

وقال سفيان الثوري : « الإسناد سلاح المؤمن » ، وقال عبد الله بن المبارك « الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما يشاء » وقال الإمام الشافعي : « مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كحاطب ليل » الى غير ذلك من النصوص الدالة على العناية بالأسناد ، ونقد الرواة ، وتشريحهم تشريحا علميا دقيقا وقد قيض الله سبحانه للحديث في كل عصر أئمة ناقدين فاقهين فنفوا عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ولولا هذا لوجد الزنادقة وأعداء الإسلام الفرصة سانحة للإفساد في الدين وإدخال فيه ما ليس منه .

الجمع والنقد سارا جنبا إلى جنب

وقد التزم الأئمة الجامعون للسنة والأحاديث غاية التحري والتثبت في الرواية ، واجتهدوا في التوثيق من صحة كل حديث ، بل وكل حرف رواه الرواة ونقدوا أحوالهم ومروياتهم ، واحتاطوا أشد الاحتياط في النقل فكانوا يحكمون بضعف الحديث لأقل شبهة في سيرة الناقل الشخصية مما يؤثر في عدالته ، فإذا اشتبهوا في صدقه وعلموا أنه كذب في شيء من كلامه رفضوا روايته ، وسموا حديثه « موضوعا » وإن لم يعرف عنه الكذب في الحديث ، مع علمهم بأنه قد يصدق الكذوب وهذا غاية الاحتياط في الرواية .

وكذلك استوثقوا من حفظ كل راو ، وذلك بمقارنة رواياته بعضها ببعض ، وبروايات غيره فإن وجدوا خطأه أكثر من صوابه ضعفوا روايته وردوها ، وإن كان لا مطعن عليه في شخصه ولا في عدالته ، وذلك خشية أن تكون روايته مما خانه فيها الحفظ أو غلبه السهو ، وقد أوفى المسلمون في نقد الأسانيد - النقد الخارجي - على الغاية ولم يدعوا زيادة لمستزيد ،

اللهم إلا ما جد من المباحث النفسية التي تعين الناقد على النقد، وكذلك عنوا بنقد المتون - النقد الداخلي - فحكموا على الحديث بالوضع أو النكارة إذا خالف العقل، أو الحس، أو القرآن أو السنة المتواترة أو المشهورة، ولم يمكن التوفيق، ومن كلامهم في هذا: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع.

وقد حرروا القواعد والأصول التي وضعوها لنقد الأحاديث ومعرفة المقبول منها من المردود، وقد بذلوا في تحقيق هذه القواعد عملياً أقصى ما في الوسع الإنساني احتياطاً لدينهم ولشريعتهم أن يدخل فيها ما ليس منها، فكانت قواعدهم التي ساروا عليها أصح القواعد للإثبات التاريخي، وأعلىها وأدقها وأوفاهها، وإذا كان البعض قد أعرض عنها بل وطعن فيها في هذه العصور المتأخرة فليس ذلك عن علم وبينة، وإنما عن جهل وهوى.

الحياة السياسية في القرن الثالث

شهد الثلث الأخير من العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢) عصر قوة الخلفاء واستقلالهم بشئون الخلافة ، وحسن تدبيرهم لسياسة الدولة ، وعدم تركهم للعناصر الأجنبية من فرس وغيرهم الاستبداد بشئون الملك وسياسة الدولة .

أما بقية هذا القرن فقد شهد ضعف الخلفاء ، وغلبة الفرس والترك والديلم على شئون الدولة ، بل وتدخلهم في تولية الخلفاء ، وعزلهم والانتقام منهم ، وقد كان من مظاهر ضعف الخلفاء أن بدأ بعض الولاة الثائرين بالاستقلال ببعض الأطراف والأقاليم ، ونشوء بعض الدويلات الأخرى ، التي انفصلت عن الخلافة واستقلت استقلالاً تاماً أو ذاتياً .



الحياة الاجتماعية في هذا القرن

وأما الحياة الاجتماعية فقد اتسعت رقعة الإسلام اتساعاً عظيماً ، ودانت له شعوب من كل جنس ولون ، ودان معظم هؤلاء به ، ومن لم يدن به وبقي على دينه فقد امتزج بالمسلمين ، وشاركهم في ثقافتهم ، وصار هؤلاء وأولئك يجيدون اللغة العربية كأهلها ، وبها يكتبون ويؤلفون ، وقد مزج هؤلاء ثقافتهم بالثقافة الإسلامية ، وأظهروها في ثوب عربي ، وكان للثقافة الإسلامية من ذلك ربح غير قليل وقد ضعف الوازع الديني عن ذي قبل ، وانحلت العصبية العربية ، وظهرت عصبيات أخرى ، وشهد المجتمع الإسلامي ألواناً من الحياة الحضارية لم تكن معهودة من قبل كما جدت فيه مشاكل دعت العلماء إلى التفكير فيها ، والبحث عن حلول لها ، وبيان حكم الشرع فيها .



الحياة العلمية في هذا القرن

لقد بدأ تدوين العلوم في القرن الثاني وفي القرن الثالث أخذت الحركة التدوينية في التقدم تقدماً ملموساً ، بل بعض العلوم كالحديث بلغ التدوين فيه أقصاه ومداه في هذا القرن ، وقد شهد هذا القرن دور تهذيب التدوين وتنظيمه ، وتمييز العلوم بعضها عن بعض من تفسير ، وحديث ، وفقه ، ولغة ، وأدب وغيرها وألفت فيه عشرات الكتب في هذه الفنون كما شهد هذا القرن تقدم البحث في العلوم العقلية من فلسفة ، وطب ، وفلك ومنطق ورياضة ، ونحوها فقد ترجمت إلى العربية كثير من كتب اليونان وغيرهم في هذه العلوم في هذا القرن ، وقد هضم العلماء العرب هذه العلوم والمعارف ، وأضافوا إليها بعض معارفهم ، وأخرجوا لنا منها عصارة شهية سائغة للشاربين . وهكذا نرى أن هذا القرن يعتبر عصرًا ذهبيًا في جميع العلوم والمعارف ، ولا سيما جمع الحديث وتدوينه ، وأن الضعف السياسي الذي طرأ على الخلافة لم يكن له أي أثر في تقدم العلوم

والمعارف ، بل أخذ العلماء يجدون السير في طريقهم
الى عرضهم السامى لا يلوون على شىء .

هذا ولناخذ في الكلام عن أصحاب الكتب الستة
وكتبهم التى اشتهروا بها ، وبيان قيمتها العلمية فنقول
وبالله التوفيق .



الامام البخارى

١٩٤ - ٢٥٦ هـ

نسبه :

هو أمير المؤمنين في الحديث الإمام أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة (١) كان جده بردزبه مجوسيا على دين قومه ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليماني الجعفي والى بخارى (٢) في هذا الوقت فنسب إليه ولاء (٣) فمن ثم قيل في نسبه « الجعفي » .

وأما جده إبراهيم فلم نقف على شيء من أخباره ،
وأما والده اسماعيل فكان عالما جليلا سمع من حماد

-
- (١) بردزبه بفتح الباء الموحدة وسكون الراء ، وكسر الدال بعدها زاي ساكنة قيل معناه بالفارسية « الزراع » ، وهذا هو المشهور في ضبطه وقيل غير ذلك « مقدمة فتح الباري ج ٢ ص ١٩٣ » ط منير .
- (١) بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام « وفيات الأعيان » وهي من الاقليم المعروف بتركستان الغربية ومن مدن هذا الاقليم : سمرقند ، وفرغانة ، وطاشقند ، وهي تحت الحكم الروسى الآن والى بخارى نسب الامام .
- (٢) ولاء اسلام لا ولاء عتق عملا بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص فولأه له والولاء نوع من الروابط التي جعلها الاسلام لتوثيق عرى الوحدة ، وتأکید الأخوة بين المسلمين .

ابن زيد ، والإمام مالك ، وروى عنه العراقيون ، ذكر له ابن حبان ترجمة في (كتاب الثقات) وترجم له ابنه أبو عبد الله الإمام في (التاريخ الكبير) .

وقد جمع والده إلى العلم الورع والتقوى روى عنه أنه قال عند وفاته : (لا أعلم في مالي درهما من حرام ولا من شبهة) .

فالبخاري من بيت علم ، ودين وورع ، فلا عجب أن ورث هذه الخلال الكريمة فيما ورث عن أبيه .

مولده ونشأته :

ولد الإمام البخاري يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة ببلدة بخاري .

وقد مات أبوه وهو صغير فكفلته أمه ، وأحسن تربيته ، وقد كان له من مال أبيه الذي تركه له ما أعانها على تنشئته نشأة كريمة صالحة ، وقد لاحظته العناية الإلهية من صغره ، فقد روى أنه أصيب في عينيه وهو صغير فحزنت أمه لذلك حزنا شديدا ، ولجأت إلى ربها

بالدعاء ، فرأت في المنام الخليل إبراهيم عليه السلام
يقول لها : يا هذه قد رد الله على ولدك بصره بكثرة
دعائك ، فأصبح وقد رد الله عليه نور عينيه فتبدل
حزنها سرورا .

نبوغه المبكر :

وقد ظهر نبوغه من صغره وهو في « الكتاب » فرزقه
الله سبحانه قلبا واعيا وحافظة قوية ، وذهنا حادا ،
وألهم حفظ الحديث ، وأخذ منه بحظ كبير ولما يبلغ
العاشرة من عمره ، ثم صار يختلف الى علماء عصره ،
وأئمة بلده ، فأخذ عنهم وصار يراجعهم ويناقشهم وما
إن بلغ السادسة عشرة من عمره المبارك حتى حفظ كتب
ابن المبارك ، ووكيع ، وعرف كلام أهل الرأي ،
وأصولهم ومذهبهم .

خروجه الى الحرمين :

وفي سنة عشر ومائتين خرج الى بيت الله الحرام حاجا
هو وأمه وأخوه أحمد ، وكان أسن منه وقد رجع أخوه
الى بخارى ، أما هو فقد آثر المقام بمكة ، وكانت مكة

من المراكز العلمية المهمة في الحجاز ، وقد وجد فيها طلبته ، وما يشبع نهمة للعلم والمعرفة ، وكان يذهب الى المدينة بين الحين والحين ، وفي الحرمين الشريفين ألف بعض كتبه ، ووضع أساس الجامع الصحيح وتراجمه ، وقد ألف التاريخ الكبير عند قبر النبي ﷺ ، وكان يكتبه في الليالي المقمرة وتواريخه الثلاثة : الصغير ، والأوسط ، والكبير ، تنم عن قدرته الفائقة في العلم بالرجال ، والبصر بالنقد ، حتى كان يقول : قل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة .

ارتحاله الى الآفاق :

وقد ضرب الامام في باب الارتحال بسهم راجح ، وقل قطر من أقطار الاسلام إلا وله اليه رحلة ، روى عنه أنه قال : « دخلت الى الشام ، ومصر ، والجزيرة مرتين والى البصرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصى كم دخلت الى الكوفة ، وبغداد ، مع المحدثين » .

وقد كانت بغداد آنئذ بلد للخلافة وموئل العلم والعلماء ، وفيها التقى بالامام أحمد بن حنبل مرارا ،

وكثيرا ما كان يحثه على الإقامة بها ويلومه على الإقامة
بخراسان ، وفي كل هذه الرحلات المتتابة المضية كان
البخارى دائبا على جمع الأحاديث والعلم ، وتقييد
معارفه بالكتابة ، فقد كان يستيقظ في الليلة الواحدة
من نومه ، يوقد السراج ، ويكتب الفائدة تمر بخاطره
ثم يطفىء سراجة ، وقد يفعل ذلك قريبا من عشرين
مرة في الليلة الواحدة ، وهكذا يكون الإخلاص للعلم،
والتفانى في سبيل المعرفة .

ما حدث بينه وبين الذهلي :

وفي سنة خمسين ومائتين ذهب الى نيسابور فتلقيه
أهلها بالترحاب ، وشارك في ذلك شيخه الذهلي
والعلماء ، روى عن مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح
أنه قال : « لما قدم محمد بن اسماعيل نيسابور ما رأيت
واليا ولا عالما فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به ،
استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث (١) وقال محمد
ابن يحيى الذهلي : من أراد أن يستقبل محمد بن

(١) المرحلة : المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم وهي نحو
٤٤ ك.م. تقريبا « المصباح المنير » .

اسماعيل غدا فليستقبله فإني أستقبله ، فاستقبله
محمد بن يحيى الذهلي وعامة علماء نيسابور فدخل
البلد ، فنزل دار البخاريين ، وقد مكث مدة يحدث
على الدوام ، وكان الذهلي يوصي الناس بالاستماع
اليه فقد روى عنه أنه قال : اذهبوا الى هذا الرجل
الصالح العالم فاسمعوا منه » .



الفتنة

ثم نفس عليه بعض الحاسدين وشغبوا عليه ، وزعموا أنه قال بخلق القرآن وبسبب هذا حدث بينه وبين شيخه الذهلي جفاء وقطيعة ، حتى لقد قال الذهلي : من زعم : لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع ولا يجالس ، ولا يكلم ، ومن ذهب بعد هذا الى مجلسه فاتهموه ، فانقطع الناس عنه إلا مسلما وأحمد بن سلمة فقال الذهلي : ألا من قال باللفظ فلا يحضر مجلسنا ، وكأنه كان يريد الامام مسلما لأنه كان يتردد الى الامام البخاري ، فأخذ مسلم رداءه وقام من مجلسه على رعوس الناس ، فبعث الى الذهلي جميع ما كان كتبه عنه على ظهر حمال .

البخاري برىء من هذه التهمة :

وفي الحق أن البخاري برىء من هذه التهمة ، فقد روى أن رجلا قام اليه فسأله : ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه « ثلاثا » فألح عليه الرجل فقال البخاري : القرآن

كلام الله غير مخلوق ، وأفعال العباد مخلوقة ،
والامتحان بدعة ، ومراده بأفعال العباد قراءتهم
وتلفظهم ، وهذا الذى قاله الامام هو الذى عليه
المحققون والسلف من التفرقة بين المقروء والقراءة ،
ولكن الحسد يعمى ويصم .

وقد ثبت عن البخارى أنه كان يقول : الإيمان قول
وعمل ، ويزيد وينقص ، والقرآن كلام الله غير مخلوق ،
وأفضل أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ،
ثم عثمان ، ثم على ، على هذا حبيبت ، وعليه أموت ،
وعليه أبعث إن شاء الله ، وثبت عنه أنه قال : من زعم
أنى قلت : لفظى بالقرآن مخلوق فهو كذاب (١) ، وقد
اشتد غضب الذهلى عليه حتى قال : لا يساكننى هذا
الرجل فى البلد فرأى البخارى أن الخير فى الخروج منها
حفاظا على نفسه ، ورغبة فى القضاء على الفتنة
فخرج (٢) .

(١) المصدر السابق ص ٢٠٤ ، وانظر شروط الأئمة الخمسة

ص ٢٢ هامش .

(٢) ومع كل ماجرى من الذهلى فقد أخرج البخارى حديث الذهلى
فى صحيحه إلا أنه كان يقول : حدثنا محمد أو حدثنا محمد بن خالد
ينسبه الى جده ، أخذا بعلمه ودفعنا لما يتوهم من أن شيخه محق فى
طعنه فيه لو صرح باسمه ، فانظر كيف بلغ السمو النفسى بالبخارى .

الى بخارى :

فخرج من (نيسابور) عائدا الى بلده (بخارى) ،
فاحتفل الناس بمقدمه ونصبت له القباب على فرسخ (١)
من البلد ، واستقبله أهلها جميعا ، ونثروا عليه الدراهم
والدنانير ، فبقى بها مدة يحدث ويعلم ثم وقع بينه
وبين أمير بخارى (خالد بن أحمد الذهلي) ما عكر
الصفو وكان سبب ذلك اعتزاز الامام بالعلم ، ذلك أن
خالدا هذا بعث اليه أن احمل الى كتاب (الجامع)
و (التاريخ) لأسمع منك فقال الامام للرسول : قل
له : إني لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب السلاطين ،
فإن لم يعجبك هذا ، فأنت سلطان فامنعني من المجلس ،
ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة اني أكرم العلم ،
فاستعان الأمير بمن شغب عليه ، وتكلم فيه ، فاتخذ
من ذلك ذريعة لنفيه ، فنفاه من البلد ، وقد دعا عليه
الامام ، وكانت دعوة مظلوم تفتحت لها أبواب السماء
فلم يمض شهر حتى أمر ابن طاهر بأن ينادى على
خالد بن أحمد على أتان (٢) وأشخص على إكاف (٣) ،
وكان عاقبة أمره ذلا وحبسا .

(١) الفرسخ ثلاثة أميال .

(٢) الأتان : الحمارة .

(٣) إكاف : برذعة .

وفاته :

أما البخاري فقد كتب إليه أهل (سمرقند) يطلبونه إلى بلدهم ، فسار إليهم ، فلما كان (بخرتنك) وهي قرية على فرسخين من (سمرقند) ، وكان له أقارب بها ، فنزل عليهم ، فاتفق أن مرض بها وتوفي .

وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما ، وكان أوصى قبل وفاته أن يكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ، فامتثل القوم ودفن بعد ظهر يوم عيد الفطر بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال ، وطول السفر والارتحال ، فرضى الله عنه وأرضاه .

شيوخه :

وقد أتاحت له رحلاته لقاء الشيوخ الذين هم محل الثقة والأمانة ، والذين بلغوا حد الكثرة الكاثرة روى عنه أنه قال : « كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس فيهم إلا صاحب حديث ، ولم أكتب إلا عن من قال : « الإيمان قول وعمل » ومن أعيان شيوخه : علي بن المديني ،

وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، ومحمد بن يوسف
الفريابي ، ومكي بن ابراهيم البلخي ، ومحمد بن
يوسف البيكندی ، وابن راهويه ، وعدد من شيوخه
الذين خرج عنهم في الصحيح ٢٨٩ شيخا .

تلاميذه :

وقد روى عنه خلائق لا يحصون حتى قيل إنه سمع
منه الصحيح تسعون ألفا (١) من أعيانهم مسلم بن
الحجاج ، والترمذي ، والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن
أبي داود ، ومحمد بن يوسف الفريري (٢) ، وابراهيم
ابن معقل النسفي ، وحماد بن شاعر النسوي ، ومنصور
ابن محمد البزدوي ، وهؤلاء الأربعة هم أشهر رواة
الصحيح عنه .

البخاري رزق حافظه وذكاء نادرين :

كان البخاري في حفظه ، وذكائه ، وعلمه بالرجال ،
وعلى الحديث آية من آيات الله في الأرض ، وقد حفظ
الله سبحانه به وبأمثاله من أئمة الحديث الجامعين له

(١) مقدمة فتح الباري ج ٢ ص ٢٠٤

(٢) فريبر بكسر الفاء وفتح الراء وسكون الياء قرية ببخاري .

سنة نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وقد روى عنه أنه قال : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتي ألف حديث غير صحيح (١) .

وليس أدل على حفظه وسعة اطلاعه وتوقد ذهنه مما حدث له لما قدم بغداد ، فقد اجتمع عليه علماء بغداد ، وأرادوا امتحانه فعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها يعنى جعلوا متن هذا لإسناد ذاك وإسناد هذا لمتن ذاك - ثم أعطوا كل واحد منهم عشرة أحاديث منها ، فألقى عليه الأول العشرة التي عنده فكان كلما ذكر حديثا قال له البخارى : لا أعرفه ، وهكذا حتى انتهى العشرة من سرد ما عندهم فصار الجهلاء من الحاضرين يحكمون على البخارى فى أنفسهم بالعجز والتقصير ، وأما العلماء منهم فيقولون : فهم الرجل ،

(١) ليس المراد بهذه الألف الكثيرة انها كلها احاديث متغايرة كما يظن البعض ، وانما هي طرق متعددة للاحاديث ، وقد يروى الحديث الواحد بعشرات الأسانيد فتعتبر هذه الأسانيد بمثابة الاحاديث ، وما هي فى الحقيقة والواقع الا طرق لحديث واحد ، فيتخير أى امام منها اصحها وأوثقها فى نظره ، ويدع ما عدا ذلك ، وقد يكون فيما ذكره ما ليس صحيحا عند غيره ، وقد يكون فيما تركه ما هو صحيح فى الواقع ، وايضا فيدخل فى هذه الألف آثار الصحابة والتابعين وغيرهم ، فكن على ذكر من ذلك حتى لا يشكلك الامر فى مثل هذا .

ثم التفت البخارى الى الأول فقال له : أما حديثك الأول فصحته كذا ، وأما حديثك الثانى فصحته كذا ، حتى انتهى من ذكر أحاديثه العشرة ، ثم التفت الى الثانى والثالث وهكذا الى العاشر ، يذكر الحديث المقلوب ، ثم يذكر صحته ، فلم يجد علماء بغداد بدا من الاعتراف له بالحفظ والتبريز والإمامة .

وعلق بعض الحاضرين لهذا الامتحان القاسى فقال : ليس العجب من إدراكه الصواب ولكن العجب سرده للأحاديث على الترتيب الذى سمعه من الممتحنين من مرة واحدة .

وكان البخارى يقول : لا أجدىء بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ولست أروى من حديث الصحابة والتابعين - يعنى من الموقوفات - إلا وله أصل أحفظ ذلك عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ثناء الأئمة عليه :

فلا عجب ، والبخارى بهذه المنزلة من العلم والحفظ أن أثنى عليه شيوخه وأقرانه ومن جاء بعده ، سأل

رجل قتيبة بن سعيد عن البخارى فقال : يا هؤلاء نظرت فى الحديث، ونظرت فى الرأى ، وجالست الفقهاء والعباد والزهاد ، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن اسماعيل ، وشهد له إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة فقال : ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد ابن اسماعيل ، وأثنى عليه أقرانه قال أبو حاتم الرازى : لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن اسماعيل ولا قدم منها الى العراق أعلم منه وروى الحاكم بسنده أن مسلما صاحب الصحيح جاء الى البخارى فقبله بين عينيه وقال : دعنى حتى أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث فى عله ، أما ثناء من جاءوا بعده فيكفى فيه قول الحافظ بن حجر « ولو فتحت باء الثناء عليه ممن تأخر عن عصره لفنى القرطاس ، ونفدت الأنفاس ، فذلك بحر لا ساحل له (١) » .

صفاته الخلقية والخلقية :

كان البخارى رجلا نحيف الجسم ، بين الطويل والقصير ، يميل الى السمرة ، متقللا من المآكل جدا

(١) مقدمة الفتح ج ٢ ص ١٩٦ - ٢٠٢

وكان غاية في الحياء والكرم والسخاء والزهد في الدنيا ،
والرغبة في الآخرة ، وكان له مال كثير ينفق منه سرا
وجهرا ولا سيما في طلب العلم ، وعلى طلبته ، فقد كان
يجزل لهم العطاء روى أنه قال : كنت استغل كل شهر
خمسمائة درهم فأنفقتها في الطلب ، وما عند الله خير
وأبقى .

وكان في غاية العفة في القول ، وتحري الحق في نقد
الرجال ، وقد يقول في الرجل الذي يعرف كذبه :

• « فيه نظر »

• « تركوه »

• « سكتوا عنه »

وأصرح ما قاله في رجل « منكر الحديث » .

ومع عفته في النقد كان يترك أحاديث الرجل لمجرد
الشك فيه ، روى عنه أنه قال : « تركت عشرة آلاف
حديث لرجل فيه نظر وتركت مثلها أو أكثر منها لغيره
لى فيه نظر » .

والإمام البخارى مثل يحتذى به فى النقد العف
النزىه ، فما أجدد النقد بالافتداء به .

اعتزازه بعلمه :

وكان البخارى شريف النفس ، موفور الكرامة ،
شديد الاعتزاز بالعلم يصونه عن الابتذال والسعى به
الى بيوت الأمراء والسلاطين ، وقد مرت قصته أنفا
مع والى بخارى خالد بن أحمد الذهلى وإبائه أن يذهب
اليه ليقرأ عليه وعلى بنىه الجامع الصحيح والتاريخ ،
وهذه سمة العلماء الربانيين الذين لا يخشون إلا الله ،
ولا يبذلون العلم طمعا فى الدنيا والجاه ، وما أكثر
هؤلاء فى تاريخ الاسلام ، ولا سيما فى عصوره الذهبية
الأولى .

إجادته للرأى :

وقد تعلم البخارى الرمى وحذقه حتى قيل ، إنه ما
أخطأ فى حياته المرمى إلا مرتين وهو فى ذلك يصدر
عن ائتمار بالسنة التى تحبب فى الرمى وفنون الحرب
وتعلمها وكان غرضه بهذا أن يكون على استعداد لقتال

أعداء الاسلام ، والدفاع عن حماه ، وهكذا ينبغي أن يكون العلماء يدافعون عن الإسلام باللسان ، ويعدون أنفسهم للجهاد حتى إذا ما دعا داعي الجهاد كانوا أسرع الناس الى استجابة النداء ، ولقاء الأعداء .

وفي تاريخ الاسلام كثير من أئمة العلم كالعز بن عبد السلام ، وتقى الدين أحمد بن تيمية ، كان لهم أكبر الأثر في إثارة الحمية في النفوس ، وكسب المواقع الفاصلة .

مؤلفاته :

للإمام البخارى مؤلفات كثيرة أشهرها :

- (١) الجامع الصحيح
- (٢) الأدب المفرد
- (٣) التاريخ الصغير
- (٤) التاريخ الأوسط
- (٥) التاريخ الكبير
- (٦) التفسير الكبير
- (٧) المسند الكبير

(٨) كتاب العطل .

(٩) رفع اليدين في الصلاة .

(١٠) بر الوالدين .

(١١) كتاب الأشربة .

(١٢) القراءة خلف الإمام .

(١٣) كتاب الضعفاء .

(١٤) أسامي الصحابة .

(١٥) كتاب الكنى .

وهذه الكتب منها ما هو موجود مطبوعاً أو مخطوطاً

ومنها ما عرف بذكر بعض الأئمة له ونقلهم عنه (١) .

وأحفل هذه المؤلفات وأبقاها على الزمان الجامع

الصحيح ، وسنفيض القول فيه .

(١) مقدمة الفتح ج ٢ ص ٢٠٤

الجامع الصحيح

كان الأئمة قبل البخارى لا يقصرون مؤلفاتهم على الأحاديث الصحيحة ، بل كانوا يجمعون بين الصحيح والحسن والضعيف ، تاركين التمييز الى معرفة القارئ والطالبين بنقد الأحاديث ، والتمييز بين المقبول والمردود ، الى أن جاء البخارى فرأى أن يخص الصحيح بالتأليف ، فألف كتابه الصحيح ، وسماه .

« الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه » .

وبذلك يكون الإمام البخارى قد خطا بالتأليف فى الحديث خطوة موفقة يسرت معرفة الحديث والاحتجاج به على الطالبين ، ولا سيما المتأخرين .

الحامل له على تأليف الصحيح :

وقد وجهه الى هذا العمل الجليل كلمة سمعها من أستاذه اسحاق بن راهويه ، روى عن البخارى أنه قال :

كنت عند اسحاق بن راهويه فقال : لو جمعتم كتابا مختصرا الصحيح سنة رسول الله ﷺ ، قال : فوقع في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح ، وقد قوى عنده العزم رؤيا رآها فقد روى عنه أنه قال : رأيت النبي ﷺ وكأني واقف بين يديه ، وبيدي مروحة أذب بها عنه ، فسألت بعض المعبرين فقال لي : أنت تذب الكذب عن حديث رسول الله ﷺ ، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح .

منهج البخارى في جمع الصحيح :

لقد نهج البخارى في جمع صحيحه منهجا يدعو الى الثقة والاطمئنان الى صحة أحاديثه ، وقد بالغ في التحرى عن الرواة ، والتوثق من صحة المرويات ، وبذل في هذا أقصى ما وصل اليه الجهد الانسانى ، وما زال يوازن بين المرويات ، ويمحصها ، ويتخير منها ما تركن اليه نفسه حتى صار كتابه الى الحالة التى هو عليها تحريا وتنقيحا ، يدل على ذلك ما روى عنه أنه قال : صنفت هذا الجامع من ستمائة ألف حديث (١) فى ست عشرة سنة .

(١) كن على ذكر مما ذكرناه سابقا فى تعليق هذه الكثرة المتكاثرة .

راجع ص ٦٨ « الاشراف الفنى » .

ومع أن البخارى اتبع فى جمع صحيحه قواعد البحث العلمى الصحيح فقد استلهم الجانب الروحى من نفسه ، قال تلميذه الفربرى سمعت محمد بن اسماعيل البخارى يقول : « صنفت كتاب الجامع فى المسجد الحرام ، وما أدخلت فيه حديثا إلا استخرت الله ، وصليت ركعتين ، وتبينت صحته » .

ومراداه أنه بوب أبوابه ، ووضع أساسه فى المسجد الحرام ، ثم بيض تراجمه ، وأصوله فى الروضة (١) بين قبر النبى ﷺ ومنبره ، ثم صار يجمع ما يتيسر له من الأحاديث ، ويضعها فى أبوابها اللائقة بها فى الحرمين وغيرهما من البلاد التى ارتحل اليها ، وقد مكث فى تأليف صحيحه ست عشرة سنة ، وهو يحرر ويدقق ، وينتقى ويتخير ما هو على شرطه حتى جاء كتابه على ما أحب ، ويحبه طلاب الحقيقة ، ورواد البحث .

وبذلك اجتمع لهذا الكتاب الصحيح من دواعى التوفيق الى الحق والصواب ما لم يجتمع لغيره ، فلا

(١) فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى صحيحه « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

عجب أن كانت له منزلة سامية في نفوس العلماء ، وأن تلقته الأمة الإسلامية بالقبول والاطمئنان الى ما فيه ، وإن استحق أن يطلق عليه « أنه أصح الكتب المدونة في الحديث النبوي » .

براعة البخارى في النقد :

وللإمام البخارى في تعديل الرجال وتجريحهم ، ونقد المتون ، ونقد الرواية شروط عالية دقيقة ، وشفوف نظر ، ومملكة عجيبة اكتسبها من طول ما بحث ونقد ، ومن طول ما عرض له من علل الأسانيد والمتون وذلك كالنطاسى البارع الذى يحصل له من طول ملازمته لمهنة الطب وكثرة ما عرض عليه من الأمراض ، نوع من العلم ، قد يصل الى حد الإلهام بالعلل والأمراض ، والوقوف على حقيقتها ومكامنهما مهما كانت خفية ، أو كانت عوارضها غير واضحة .

وكالصيرفى الماهر الذى اكتسب بطول ملازمته الصيرفة التمييز بين النقود الجيدة السليمة ، والنقود الزائفة وربما تسأله عن السبب فى الحكم عليها فلا يجيب ، وهذه الملكة فى التمييز بين الصحيح من الحديث

والمغليل تكاد تكون عند معظم أئمة الحديث وجهابذته، وإن كانوا يتفاوتون فيها على حسب الأصالة في النقد والاستعداد، وسعة الاطلاع ولعلك لمحت هذا التنظير بين المحدثين والأطباء في كلمة الإمام مسلم للبخارى أنفا: «يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في عله» وبين المحدثين والصيارفة في تعبيرهم عن نقاد الحديث: «صيارفته».

شروط البخارى في التصحيح في القمة:

من المعروف المقرر عند أئمة الحديث وعلمائه أن شروط الحديث الصحيح: أن يكون راويه مسلما، عاقلا، صادقا، غير مدلس ولا مختلط (١)، متصفا بصفات العدالة (٢) ضابطا لما يرويه، متحفظا عليه،

(١) المدلس: هو الذى يروى عن عاصره ما لم يسمعه منه موهما أنه سمعه منه، والمختلط: هو الذى طرا عليه كثرة الفلظ أو الخطأ بسبب كبر سن أو عمى أو ضياع كتبه مثلا.

(٢) العدالة: ملكة أى حالة نفسية راسخة تحمل على ملازمة التقوى، والمروءة، والتقوى: أمثال المأثورات واجتناب المنهيات فلا يفعل كبيرة ولا يصر على صغيرة، ولا يكون مبتدعا بدعة تخل بعدالته، والمروءة: آداب نفسانية يحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات فيترفع عن صفائر الخيبة، والمباحات التى تواضع العرف على اخلالها بالكرامة.

سليم الذهن والحواس التي لا بد منها في السماع والضبط
قليل الوهم - الغلط - سليم الاعتقاد .

وأن يكون إسناده (١) متصلاً ، فلا ارسال فيه ، ولا
انقطاع ، ولا إعضال (٢) وأن يكون متن الحديث غير
شاذ ، ولا معطل (٣) .

فاذا اجتمعت هذه الشروط في الحديث كان صحيحاً
يعنى في نسبته الى قائله وترجح ترجحاً قوياً في صدق
هذه النسبة يكاد يصل عند أهل هذا الفن المتمرسين
فيه الى حد العلم واليقين .

ومن ثم يتبين لنا أن الشروط التي وضعها المحدثون
لصحة الحديث تقتضى الثقة والطمأنينة ، وترجح جانب
الصدق على الكذب ، والصواب على الخطأ ومما ينبغى

(١) السند والاسناد : هم الرواة الذين يروون الحديث .

(٢) المرسل من الحديث : ما حذف من سنده الصحابي ، والمنقطع
ما حذف من سنده راو واحد غير الصحابي ولو في مواضع ، والمعضل
ما حذف من سنده اثنان فأكثر على التوالي .

(٣) الشاذ : هو الحديث الذي خالف فيه الثقة من هو أوثق منه ،
والمعطل ما اطلع فيه على علة خفية غامضة تطعن في صحة الحديث .

أن يعلم أن البخارى لم ينقل عنه أنه قال : شرطى فى صحىحى كذا وكذا على التفصىل والتصرىح كما يصنع بعض المؤلفىن ، وإنما عرف ذلك من سبر (١) كتابه ، والبحث فىه والذى استخلصه العلماء بعد البحث والتتبع أن الإمام البخارى فى صحىحه التزم أعلى درجات الصحة ، ولا ينزل عن هذه الدرجة إلا فى بعض الأحادىث التى لىست من أصل موضوع الكتاب كالمتابعات والشواهد (٢) والأحادىث المروية عن الصحابة والتابعىن .

ولىس من شك فى أن الرواة يتفاوتون فى الأخذ عن شيوخهم إتقاناً وضبطاً ، وطول ملازمة ومصاحبة وقلة ذلك ، كما يتفاوتون فى العدالة والأمانة ، والبخارى فى صحىحه إنما يعتمد من الرواة من كانوا فى أعلى الدرجات من هذه الصفات وسأوضح ذلك بمثال : ذلك أن تلامذة الإمام الزهرى مثلاً على خمس طبقات ودرجات ولكل طبقة مزىة على التى تلىها : الطبقة الأولى هم : الذىن امتازوا بالعدالة والحفظ والإتقان

(١) اختبرها وتعرف عليها .

(٢) المتابعة : موافقة راو لراو آخر فى رواية لفظ الحدىث ،

والشاهد : الحدىث الذى يوافق حدىثاً آخر فى معناه .

والأمانة ، وطول الملازمة للزهري في السفر والحضر
مثل : مالك : وسفيان بن عيينة ورجال هذه الطبقة
هم مقصد البخاري في صحيحه .

الطبقة الثانية (١) وهم الذين شاركوا الأولى في
التثبت والأمانة إلا أن رجال الأولى امتازوا بطول
المصاحبة للزهري سفرا وحضرا ، أما رجال الثانية فلم
يلزموا الزهري إلا مدة يسيرة فكانوا في الإتقان
والمعرفة بحديثه دون الأولى ، وذلك مثل : الأوزاعي
والليث بن سعد ورجال هذه الدرجة الثانية يعتمد
رواياتهم الإمام مسلم أما البخاري فلا يخرج من أحاديثه
إلا قليلا في غير أصول الكتاب كما ذكرنا آنفا .

الطبقة الثالثة : وهم من دون الثانية مثل : جعفر
ابن برقان وزمعة بن صالح فلا يخرج لهم البخاري أصلا
وقد يخرج لهم في المتابعات والشواهد .

أما رجال الطبقة الرابعة والخامسة وهم المجرحون
والضعفاء فلا يخرج لهم البخاري ومسلم .

وهكذا يتبين لنا أن شرط البخاري في صحيحه في
القمة .

(١) الطبقة : هم الرواة الذين تقاربوا في السن ولقاء الشيوخ .

البخارى حافظ وفقه مجتهد :

إن مهمة جامعى الحديث وحفاظه الأساسية هى جمع السنة وحفظها من الضياع ولم تكن مهمتهم الفقه واستنباط الأحكام ، فتلك وظيفة الفقيه ، ولكن البخارى لم يخل كتابه من الفوائد الفقهية والأحكام والآداب ، فاستخرج بفهمه من المتون معانى كثيرة فرقها فى أبواب كتابه بحسب مناسباتها ، كما اعتنى فيه بذكر بعض الآيات القرآنية التى لها صلة فقهية أو لغوية بالموضوع الذى يترجم له ، وما ورد عن السلف فى تفسير الآيات ، ويتجلى فقه البخارى فى إيراد بعض المسائل لا على سبيل القطع اذا كان فى المسألة اختلاف ولم يترجح أحد الآراء عنده كقوله : باب . هل يكون كذا ؟ أو من قال كذا ؟ وفى إيراد أقوال بعض الصحابة أو التابعين التى تشهد لرأى ، أو ترجح رأيا على رأى ، وفى تعليقاته الدقيقة التى يتبع الأحاديث بها فيقول : قال أبو عبد الله - يريد نفسه - كذا وكذا ، وأكثر ما يتجلى فقهه فى التراجم ولذلك قيل : « فقه البخارى فى تراجمه » .

وقد ذكروا أن البخارى كان شافعيًا ، وقد عده الامام السبكي فى « طبقات الشافعية » .

والذى يترجح عندى أنه كان فقيها مستقلا بالاجتهاد ولم يكن مقلدا وله استنباطات تفرد بها ، وآراؤه أحيانا توافق مذهب أبى حنيفة ، وأحيانا مذهب الشافعى ، وأحيانا تخالفهما ، وتارة يختار مذهب ابن عباس ، وتارة أخرى مذهب مجاهد وعطاء الى غير ذلك والخلاصة أنه كان حافظا بارعا وفقهيا مجتهدا ، وإن كان الذى غلب عليه الحفظ لا الفقه .

طريقة البخارى فى تنظيم كتابه :

قسم البخارى كتابه الى كتب .

والكتب الى أبواب بدأه ببدأ الوحى ، لأنه الأساس لكل الشرائع .

ثم ذكر كتاب الإيمان ، ثم العلم ، ثم الطهارة ، ثم كتاب الصلاة ، ثم كتاب الزكاة .

واختلفت النسخ فى الصوم والحج أيهما قبل الآخر ؟

ثم كتاب البيوع ، وبعد أن انتهى من المعاملات ذكر

المرافعات ، فذكر كتاب الشهادات ، ثم كتاب الصلح ،
ثم كتاب الوصية والوقف ، ثم كتاب الجهاد ، ثم عرض
لأبواب غير فقهية مثل بدء الخلق وتراجم الأنبياء
والجنة والنار ، ثم مناقب قريش ، وفضائل الصحابة .

ثم ذكر السيرة النبوية والمغازي وما إليها ، ثم كتاب
التفسير ، ثم عاد إلى الفقه من نكاح وطلاق ونفقات ،
ثم كتاب الأطعمة ، ثم كتاب الأشربة ، ثم كتاب الطب ،
ثم كتاب الأدب والبر والصلة والاستئذان ، ثم كتاب
الندور والكفارات ، ثم كتاب الحدود والإكراه ، ثم
كتاب تعبير الرؤيا ، ثم كتاب الفتن ، وكتاب الأحكام ،
وذكر فيه الأمراء والقضاة ، ثم كتاب الاعتصام بالكتاب
والسنة ، ثم كتاب التوحيد ، وبذلك تم الكتاب .

• وعدة كتبه (٩٧) كتابا .

• وعدة أبوابه (٣٤٥٠) بابا .

ومما ينبغي أن يعلم أن النسخ كما اختلفت في تقديم
بعض الكتب والأبواب على بعض ، اختلفت في اعتبار
بعض الكتب أبوابا ، وبعض الأبواب كتبا كما يعلم

ذلك من مراجعة متن البخارى المطبوع وكتب الشروح له .

وفى بعض أبوابه توجد الأحاديث الكثيرة ، وفى بعضها ما فيه حديث واحد ، وفى بعضها ما فيه آية من كتاب الله ، وبعضها لا شىء فيه ، وكان لم يجد فى هذا الباب الذى ترجم له حديثا على شروطه التى أسلفناها ، فتركه هكذا عسى أن يتيسر له حديث فيما بعد .

**تكرارة لبعض الأحاديث ، أو تجزئته لها ، أو
اختصارها :**

لقد جرى الامام البخارى فى صحيحه على تكراره لبعض الأحاديث ، أو تجزئته لها ، أو اختصارها فى الأبواب المختلفة ، وذلك بحسب ما يستخرج منها من الأحكام ، وبحسب ما يقتضيه المقام ، والبخارى لا يفعل ذلك غالبا إلا لفوائد تعود إما الى سند الحديث أو متنه ، وقلما يورد حديثا واحدا بإسناد واحد ولفظ واحد فى موضعين إلا نادرا جدا .

ومن الفوائد التى يقصدها بعمله هذا تكثير طرق الحديث أو التنبيه على اختلاف بعض الألفاظ أو أن

يكون بعض الرواة قد روى بالعنعنة (١) وقد ثبت عنده في رواية أخرى التصريح بالسماع بدل لفظ « عن » فيورده لذلك ، الى غير ذلك من الاعتبارات الدقيقة التي تظهر جلية لمن يدرس الكتاب دراسة واعية دقيقة .

الأحاديث المعلقة في صحيح البخارى :

المراد بالتعليق - في اصطلاح المحدثين - ، أن يحذف من مبتدأ إسناد الحديث واحد أو أكثر وذلك مثل قول البخارى مثلا : قال مالك عن نافع عن ابن عمر كذا ، أو قال مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ كذا ، أو قال الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن النبي ﷺ كذا ، فكل ذلك معلق ، لأن بين البخارى وبين مالك ، ومجاهد ، والزهرى بعض رواية غير مذكورين وتعليقات البخارى منها ما هو مرفوع ، ومنها ما هو موقوف ومنها ما هو بصيغة الجزم : كقال ، وروى ، وذكر مثلا ، ومنها ما هو بصيغة التضعيف : كقيل وروى ويذكر .

(١) العنعنة هي الرواية بلفظ « عن فلان » والعنعنة تفيد الاتصال عند البخارى بشرطين : « أ » معاصرة الراوى لمن روى عنه . « ب » أن يثبت لقيهما ، وأما مسلم فيكتفى في العنعنة بالمعاصرة فقط ولا يشترط اللقى وشرط البخارى أحوط وأدق .

وتعليقات البخارى منها ما هو صحيح ومنها ما ليس بصحيح ، ومنها ما هو على شرطه فى الصحة ، ومنها ما ليس كذلك ولا يقال كيف يورد البخارى فى كتابه ما ليس بصحيح ، لأن الأحاديث المعلقة ليست من أصل الكتاب وموضوعه (١) وإنما هى تذكر للاستشهاد على معنى أو قول أو للترجيح أو لغير ذلك من الأغراض وبحسب القارىء هذا ولا داعى للدخول فى تفاصيل علمية دقيقة .

ثلاثيات البخارى :

وللبخارى فى صحيحه أحاديث (٢) علا فيها حتى صار بينه وبين النبى ﷺ ثلاثة رواة ، وهى المعروفة بالثلاثيات ، وعدتها اثنان وعشرون حديثا وقد أفردتها بعض العلماء بالتأليف كالعلامة الشيخ على القارى الحنفى .

ومن أمثلة هذه الثلاثيات ما ذكره فى (كتاب العلم - باب إثم من كذب على النبى ﷺ) ، وقال البخارى :

(١) لأن موضوع «صحيح البخارى» والغرض الذى ألف لأجله هو ذكر الأحاديث المسندة المتصلة المرفوعة الصحيحة وما عدا ذلك أمور تذكر بالتبع ، فيتسامح فيها ما لا يتسامح فى الأصل .

(٢) إذا قلت سلسلة الرواة بين الامام الراوى ونهاية السند سمي الاسناد عاليا وان كثرت سمي نازلا .

حدثنا مكى بن ابراهيم قال : حدثنا يزيد بن أبى عبيد
عن سلمة - يعنى ابن الأكوغ - قال : سمعت رسول الله
ﷺ يقول : « من يقل على ما لم أقل فليتبوأ مقعده
من النار » .

الأحاديث المنتقدة على البخارى :

وقد انتقد بعض الحفاظ كالدارقطنى على البخارى
أحاديث ذكرها فى صحيحه وليست على المستوى
والدرجة العالية التى التزمها فى صحيحه .

وليس معنى هذا أن هذه الأحاديث ضعيفة ضعفا
يصل بها الى حد أنها موضوعة أو منكرة فما قال هذا
أحد قط من أئمة النقد الموثوق بهم والذين يرجع اليهم
فى التعديل والتجريح ، ونقد الرجال ، والبصر بالمتون
على توالى العصور والأجيال ، وكل ما هنالك أنها
ليست فى مستوى معظم أحاديث الكتاب .

وعدة الأحاديث المسندة التى انتقدت على البخارى
مائة وعشرة أحاديث .

منها ما وافقه الامام مسلم على تخريجه فى صحيحه
وهو اثنان وثلاثون حديثاً .

ومنها ما انفرد به البخاري ، وهو ثمانية وسبعون حديثاً .

وقد أجاب الحافظ الكبير ابن حجر في مقدمة شرحه الجليل المسماة « هدى الساري » عن هذه الأحاديث بجواب إجمالي ، ثم بجواب تفصيلي ، فقد عرض لها حديثاً حديثاً ، ذكراً نقداً ناقداً ، ثم يعقب النقد بالرد (١) ، وهو يعطينا صورة شريفة من صور النقد العفيف ، والرد النزيه الصحيح .

ثم قال هذا العالم المحقق الكبير بعد المطاف الطويل :
« هذا جميع ما تعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلم الأسانيد ، المطلعون على خفايا الطرق وليست كلها من أفراد البخاري ، بل شاركه مسلم في كثير منها » .

وعدة ذلك اثنان وثلاثون حديثاً فأفراده منها ثمانية وسبعون فقط ، وليست كلها قاذحة بل أكثرها الجواب عنها ظاهر ، والقدر فيها مندفع ، وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تعسف ، كما شرحته مجملاً في أول الفصل ، ووضحته مبيناً إثر كل

(١) مقدمة فتح الباري ج ٢ من ص ٨٣ - ١١٠

حديث منها ، فإذا تأمل المصنف ما حررته من ذلك عظم هذا المصنف - يريد البخاري - في نفسه ، وجل تصنيفه في عينه ، وعذر الأئمة من أهل العلم في تلقيه بالقبول والتسليم ، وتقديمهم له على كل مصنف في الحديث والقديم ، وليسوا سواء : من يدفع بالصدر فلا يأمن دعوى العصبية ، ومن يدفع بيد الإنصاف على القواعد المرضية ، والضوابط المرعية فله الحمد الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والله المستعان ، وعليه التكلان (١) .

وهو كلام امام ناقد منصف ، لا يختلف اثنان في أنه جمع بين الحفظ والبصر بالنقد ، وبين الفقه والحدق للأصوليين : أصول الدين وأصول الفقه .

ولعل من هذه الأحاديث التي وقع فيها التكلف في الجواب والحق فيها مع الناقد حديث شريك بن أبي نمر عن أنس في الإسراء وهو حديث طويل ، فقد خالف فيه شريك أصحاب أنس - يعنى الراويين عنه - في إسناده وامتته بالتقديم والتأخير ، وزياداته المنكرة وأشد أوهامه قوله - شريك - : « إن الإسراء كان قبل أن يوحى

(١) المرجع السابق ص ١١٠

إليه» وقد أنكرها الخطابي وابن حزم ، وعبد الحق ،
والقاضي عياض ، والنووي وغيرهم ، واعتبروا ذلك
غلطا من شريك ، وشريك ليس بمتهم بالكذب ، وقصارى
أمره أنه غلط والتبس عليه الأمر .

ومما ينبغى أن يعلم أن البخارى رحمه الله أخرج
الروايات الصحيحة فى الإسراء والمعراج بجانب رواية
شريك ، وهو بصنيعه هذا ينبهنا من طرف خفى لا
يخفى على اللبيب ما فى رواية شريك من الأغلاط فله
در البخارى فكم من إشارات وتلميحات . وإذا علمنا
أن أحايث الجامع الصحيح على كثرتها ، لم يشك منها
إلا بضعة أحاديث ، ازددنا يقينا بجلالة هذا الكتاب
الصحيح .

ومهما يكن من شىء فهذه الهنات القليلة لا تغض
من جلالة صحيح البخارى ، فهو - بحق - عدا اليسير
جدا - فى الدرجة العليا من الصحة ومن أراد زيادة يقين
فليرجع الى مقدمة فتح البارى ، ويقرأ النقد والرد
عليه .

ولا تلتفت - يا أخى القارىء - الى إرجاف
المرجفين ، وزعم الجاهلين أن فى صحيح البخارى

أحاديث موضوعة مكذوبة ، ولا يزعم هذا إلا غر ضيق الأفق في العلم بالسنة ورجالها ، والعلم بشروطهم في الرواية ، وهذا أمر انتهى إليه العلماء المحققون بعد طول البحث والتمحيص ، وبعد الأناة والتريث .

ونحن لا ندعى العصمة للبخاري ولا لغيره ، ولكن الله الذي تكفل بحفظ كتابه قيض للسنة من حفظها ، وميز صحيحها من سقيمها ، حتى تم ما وعد الله به من حفظ القرآن الكريم .



... ..
... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..
... ..

عدد أحاديث الجامع الصحيح

ذكر العلامة ابن الصلاح في مقدمته أن عدد أحاديث صحيح البخاري سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا بالمكرر ، وبغير المكرر أربعة آلاف حديث ، وتبعه العلامة الشيخ محيي الدين النووي في كتابه «التقريب» .

وقد تكفل بعد صحيح البخاري عدا دقيقا الحافظ ابن حجر ، وقد ساعده على تحرير العدد أنه شرح صحيح البخاري ، وفي آخر كل كتاب يذكر عدد الأحاديث الموصولة المرفوعة ، والمعلقة ، والمتابعات وأقوال الصحابة والتابعين ، فمن ثم كان عدده أدق وأشد تحريرا من عد غيره .

والذي ذكره الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح :

أن جميع ما في صحيح البخاري من الأحاديث الموصولة بلا تكرير (٢٦٠٢) حديثا .

ومن المتون المعلقة المرفوعة التي لم يوصلها في موضع آخر من الصحيح (١٥٩) حديثا .

- وأن جميع أحاديثه بالمكرر (٧٣٩٧) حديثا .
- وأن جملة ما في الكتاب من التعاليق (١٣٤١) حديثا .
- وجملة ما فيه من المتابعات (٢٤٤) حديثا .
- فجميع ما في الكتاب على هذا بالمكرر (٩٠٨٢) حديثا
- وهذه العدة عدا ما في الكتاب من الموقوفات على الصحابة والمرويات عن التابعين فمن بعدهم .
- قال الحافظ ابن حجر : « وهذا الذي حررته من عدة ما في صحيح البخارى تحرير بالغ فتح الله به لا أعلم من تقدمنى اليه وأنا مقر بعدم العصمة من السهو والخطأ ، والله المستعان » .

شروح الجامع الصحيح للبخارى :

- لم يحظ كتاب من كتب الحديث بعناية الأمة الاسلامية مثل ما حظى بذلك « الجامع الصحيح » للإمام البخارى ، فقد اعتنى علماء الأمة به شرحا له ، واستنباطا للأحكام منه ، وتكلما على رجاله وتعاليقه ، وشرحا لغريبه ، وبيانا لمشكلات إعرابه الى غير ذلك .

وقد تكاثرت شروحه حتى قال صاحب « كشف
الظنون » : إنها تنيف على اثنين وثمانين شرحا ، وذلك
عدا ألف بعد عصر صاحب الكشف ، واليك أشهر
شروحه :

١ - شرح العلامة شمس الدين محمد بن يوسف بن
على الكرمانى المتوفى سنة (٧٨٦ هـ) سماه : « الكواكب
الدرارى فى شرح صحيح البخارى » .
شرح فيه الألفاظ من الناحية اللغوية ، ووجه
الأعاريب النحوية الخفية ، وضبط الروايات وأسماء
الرجال ، وألقاب الرواة ، والتمييز بينهم ، ووفق بين
الأحاديث التى ظاهرها التعارض ، وفرغ منه بمكة
المكرمة سنة (٧٧٥ هـ) ، قال الحافظ ابن حجر فى
« الدرر الكامنة » : وهو شرح مفيد على أوهام فيه
فى النقل ، لأنه لم يأخذه إلا من الصحف .

٢ - شرح الامام الحافظ أبى الفضل أحمد بن على
ابن محمد بن محمد بن حجر العسقلانى ثم المصرى ولد
سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة وتوفى سنة اثنتين وخمسين
وثمانمئة سمى شرحه « فتح البارى بشرح صحيح
البخارى » وهو أحسن الشروح وأوفاهها .

وقد تعرض فيه لذكر اللغة والاعراب ، والفوائد
الحديثية التي لا تجدها في غيره ، والنكت البلاغية
والأدبية ، والاستنباطات الفقهية ، وتحرير المسائل
المختلف فيها بين علماء الأمة في الفقه والكلام تحريراً
دقيقاً بالغاً من غير تحيز ولا تحيف ، وقد امتاز بجمع
طرق الأحاديث ، واستقراء الوارد منها في الباب ، وبيان
منزلتها من الصحة أو الضعف مما يدل على سعة حفظه
وتبحره في الإحاطة بكتب الحديث .

ولفتح الباري مقدمة تسمى « هدى السارى » لو
كتبت بماء الذهب لكان قليلاً عليها ، وهى تعتبر
بمثابة مفتاح لصحيح البخارى وقد فرغ من تأليفها
سنة (٨١٣) هـ .

ثم ابتداءً فى الشرح ، فكتب منه قطعة أطال فيها
النفس ، ثم خشى أن يعوقه عن إتمامه على هذه الصفة
عائق ، فشرع فى شرح متوسط وهو « فتح البارى » .

وقد ابتداءً فى شرحه هذا سنة (٨١٧) هـ وأكمله سنة
(٨٤٢) هـ ، فمكث فى تأليفه ربع قرن ، فلا عجب أن
جاء هذا الشرح غاية فى التحرير والتجويد والاتقان
ولقد كان الحافظ راضياً عن كتابه هذا كل الرضا .

ولما انتهى الحافظ من شرحه أولم وليمة ، دعا اليها وجوه المسلمين وقد بلغ ما أنفقه فيها خمسمائة دينار ، وهي نحو (٢٥٠) جنيها مصريا ، ولا يزال الكتاب محل الحظوة من جميع العلماء قديما وحديثا وإنه لمعتمد كل من يكتب في الحديث .

ولما طلب من العلامة الشيخ محمد بن علي الصنعاني الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ صاحب « نيل الأوطار » أن يشرح صحيح البخاري التزم جادة الإنصاف ، واعترف للحافظ ابن حجر بالإمامة والسبق فقال الحديث المشهور : « لا هجرة بعد الفتح » يقصد التورية .

وإذا كان العلامة ابن خلدون نقل في مقدمته الشهيرة عن شيوخه أنهم قالوا : إن شرح البخاري دين في عنق هذه الأمة - فذلك إنما قالوه قطعا قبل أن يؤلف الحافظ شرحه (١) وقد وفي الحافظ ابن حجر هذا الدين بشرحه الجليل .

والشرح يقع في ثلاثة عشر مجلدا كبيرا ومقدمته في

(١) توفي ابن خلدون عام ٨٠٨ هـ وشرع الحافظ في تأليف شرحه

مجلد كبير وقد طبع مرارا في الهند ومصر وأجود طبعااته
طبعة بولاق القديمة .

٣ - شرح العلامة الشيخ بدر الدين محمود بن أحمد
العينى الحنفى المولود سنة ٧٦٢ هـ والمتوفى سنة ٨٥٥ هـ
وقد سمي شرحه « عمدة القارى » .

وهو شرح وسيط عرض فيه لتراجم الرواة ، وتباين
الأنساب وبيان اللغات ، والإعراب ، والمعانى ، والبيان ،
هذا الى ما فيه من الاستنباطات الفقهية ، والآداب التى
تؤخذ من الأحاديث ، وقد سلك فيه طريقة السؤال
والجواب وهى طريقة حسنة مفيدة ، ومن حسناته أنه
لا يحيل فى شرح الأحاديث المكررة على مواضع أخرى ،
ويذكر سياق الحديث بطوله عند الشرح ، كما يذكر
من خرج الحديث من أصحاب الكتب المشهورة وقد بدأ
فى تأليف شرحه سنة ٨٢١ هـ وفرغ منه عام ٨٤٧ هـ فيكون
قد مكث فى تأليفه ربع قرن تقريبا ، وهو مطبوع بمصر
وباستامبول .

٤ - شرح العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد
الخطيب المصرى الشافعى المشهور بالقسطلانى المتوفى
سنة ٩٢٢ هـ .

وهو شرح أوجز من سابقه ، وكثيراً ما يعتمد فيه على كلام من سبقه ولا سيما صاحب الفتح وقد سماه « إرشاد السارى الى صحيح البخارى » ولم يتحاش من الإعادة عند الحاجة الى البيان ، ولا فى ضبط الواضح عند علماء هذا الشأن قصداً لنفع الخاصة والعامة ، وقد كتب له مقدمة فى منزلة الحديث النبوى من الدين ، وعناية الأمة به حفظاً وجمعاً وتدويناً ، وقد طبع مرارا .

مختصرات الجامع الصحيح :

للجامع الصحيح مختصرات عدة منها :

١ - مختصر العارف بالله الصوفى القدوة الشيخ أبو محمد عبد الله بن سعد بن أبى جمرة الأندلسى المتوفى سنة ٦٩٥ هـ وهو نحو ثلاثمائة حديث ، وقد شرح مختصره هذا وسماه « بهجة النفوس وغايتها بمعرفة ما لها وما عليها » وقد سلك فيه مسلك العناية بالمعانى دون الألفاظ ، وبالأخلاق والمواعظ أكثر من الأحكام وفيه من التحقيقات ، والتأويلات البارعة ، والفوائد البديعة ما لا تعثر عليه فى غيره ، وقد ينقل منه الحافظ

ابن حجر في شرحه المشهور السابق ، وقد طبع المختصر
والشرح .

٢ - مختصر الشيخ الامام زين الدين أبي العباس
أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي المتوفى سنة
٨٩٣ هـ حذف منه ما تكرر ، وجمع فيه ما تفرق في
الأبواب وحذف الأسانيد مقتصرًا على الصحابي ، وقد
فرغ منه في شعبان سنة ٨٨٩ هـ .

وقد شرح هذا المختصر شيخ الاسلام الشيخ عبد الله
الشرقاوي الأزهرى وقد اعتمد في شرحه على كلام من
تقدموه ولاسيما صاحب « فتح الباري » .

وشرحه أيضا حسن صديق خان ملك بهوبال في الهند
وكلا الشرحين مطبوع .



الإمام مسلم بن الحجاج

٢٠٦ - ٢٦١ هـ

نسبه :

هو الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم ابن ورد بن كوشاذ القشيري (١) نسبا ، النيسابوري بلدا صاحب الصحيح ، والمؤلفات القيمة في علم الحديث وأحد الأئمة الأعلام الذين خلد ذكرهم الزمان ، وقد ولد سنة ست ومائتين على ما هو الصحيح ، كما يدل على ذلك ما ذكره الحاكم أبو عبد الله في كتابه « علماء الأمصار » .

حياته وارتحاله في سبيل العلم :

وقد كانت حياته حافلة بجلائل الأعمال والارتحال في سبيل الحديث والرواية فارتحل الى الحجاز ، والعراق ، والشام ، ومصر ، وغيرها من الأقطار .

(١) قشير بصيغة المصغر قبيلة من قبائل العرب ونيسابور بلد بخراسان .

وقد ابتداء سماعه للحديث في سن مبكرة ، وكان أول سماعه سنة ثمانى عشرة ومائتين .

وقد لقي في رحلاته كثيرين من أئمة العلم وأخذ عنهم فسمع بخراسان يحيى بن يحيى ، واسحاق بن راهويه ، وبالري محمد بن مهران ، وأبا عنسان ، وبالعراق أحمد ابن حنبل ، وعبد الله بن مسلمة ، وبالحجاز سعيد بن منصور وأبا مصعب ، وبمصر عمرو بن سواد ، وحرملة ابن يحيى كما سمع آخرين غير هؤلاء .

وقد قدم بغداد أكثر من مرة واستفاد من علمائها وكان آخر قدومه اليها سنة تسع وخمسين ومائتين ، ولما قدم الامام البخارى نيسابور أكثر من التردد عليه واستفاد منه ، وكان يعرف له فضله وعلمه ، ولما وقعت الفتنة بين البخارى والذهلى انحاز الى البخارى حتى كان هذا سببا للقطيعة بينه وبين الذهلى ، ولم يخرج له في صحيحه ولا غيره شيئا مع أنه من شيوخه ، وكذلك صنع مع البخارى فلم يرو عنه في صحيحه مع أنه من شيوخه أيضا ، وكأنه رأى لما بينهما من خلاف أن لا يخرج لواحد منهما في صحيحه مع اعترافه بمشيتها .

وفياته :

وبعد هذه الحياة المباركة توفي عشية يوم الأحد ودفن « بنصر آباد » ظاهر نيسابور يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رجب سنة إحدى وستين ومائتين عن خمس وخمسين عاما أكثر فيها من التأليف والإنتاج الخصب المفيد .

شيوخه :

وللإمام مسلم شيوخ كثيرون جدا منهم عدا من ذكرنا في الحديث عن رحلته :

عثمان وأبو بكر ابنا أبي شيبة ، وشيبان بن فروخ ، وأبو كامل الجورى ، وزهير بن حرب ، وعمرو الناقد ، ومحمد بن المثنى ، ومحمد بن يسار ، وهارون بن سعيد الأيلي وقتيبة بن سعيد وغيرهم .

الراوون عنه :

وروى عنه أئمة أجلاء - ومنهم من هو من أقرانه - من أعيانهم أبو حاتم الرازى ، وموسى بن هارون ، وأحمد بن سلمة ، وأبو بكر بن خزيمة ، ويحيى بن

صاعد ، وأبو عوانة الإسفراييني ، وأبو عيسى الترمذي
وقد روى عنه حديثا واحدا وهو حديث محمد بن عمرو
عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« أحصوا هلال شعبان لرمضان » (١) ، وأبو عمرو
أحمد بن المبارك المستملي ، وأبو العباس محمد بن
إسحاق بن السراج ، ومن أخص تلامذته إبراهيم بن
محمد بن سفيان الفقيه الزاهد - وهو راوية (٢) صحيح
مسلم - وغيرهم كثيرون .

حفظه وثناء الأئمة عليه :

لئن كان البخاري هو المجلي في مضمار الحديث
الصحيح ، والعلم بالعلل ، وسعة الحفظ ، وأصالة
النقد ، فقد كان مسلم هو المصلي (٣) وتليه في العلم
والمعرفة ، والفضل والمنزلة ، ولا عجب فقد كان تلميذه
وخريجه .

قال الخطيب البغدادي : « إنما قفا مسلم طريق
البخاري ونظر في علمه وحذا حذوه » .

(١) البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٣

(٢) التناء للمبالغة أي الذي يبلغ في روايته والعناية به وإن كان
رواه كثيرون غيره .

(٣) يقال للفرس السابق في حلبة السباق المجلي ولن يجيء بعده
المصلي .

وليس معنى هذا أنه كان تابعا فقط ، فقد كان للامام
مسلم شخصيته المستقلة في التأليف ، وابتكاره أشياء
لم يسبق إليها ، ومنهجه الخاص به كما ستعلم فيما
بعد .

وقد حظى الامام مسلم بثناء الأئمة عليه من أهل
الحديث وغيرهم . روى الخطيب البغدادي بسنده عن
أحمد بن سلمة قال : رأيت أبا زرعة ، وأبا حاتم يقدمان
مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ
عصرهما .

وقال اسحاق بن منصور الكوسج لمسلم : « لن نعدم
الخير ما أبقاك الله للمسلمين » .

وقال اسحاق بن راهويه وقد ذكر مسلما : أى رجل
يكون هذا ؟

وقال ابن أبى حاتم : كان من الحفاظ كتبت عنه
بالرى .

وقال أبو قريش الحافظ : حفاظ الدنيا أربعة فذكر
منهم مسلما (١) ومراده الممتازون في عصره وإلا
فالحفاظ كثيرون .

(١) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٥٠

مؤلفات مسلم :

لمسلم مؤلفات كثيرة منها :

- ١ - الجامع الصحيح .
- ٢ - المسند الكبير على الرجال .
- ٣ - كتاب الأسماء والكنى .
- ٤ - « العطل » .
- ٥ - « الأقران » .
- ٦ - « سؤلاته أحمد بن حنبل » .
- ٧ - « الانتفاع بأهب (١) السباع » .
- ٨ - « المخضرين » .
- ٩ - « من ليس له إلا رأو واحد » .
- ١٠ - « أولاد الصحابة » .
- ١١ - « أوهام المحدثين » .

وأجل هذه الكتب وأعمها نفعا ، وأبقاها على الزمان

(الجامع الصحيح) .

(١) بضم الهمزة والهاء جمع امهات وهو الجلد .

صحيح الإمام مسلم

وهو أحد الكتابين اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل ، واللذين تلقتهما الأمة الإسلامية بالقبول . وقد بالغ الامام مسلم في البحث والتحري عن الرجال والتمحيص للمرويات ، والموازنة بينها ، والتدقيق في تحرير الألفاظ ، والإشارة الى الفروق بينها حتى جاء صحيحه على الهيئة الكاملة ، التي ينشدها أهل البحث والمعرفة .

وليس أدل على هذا من أنه انتقى كتابه من ألوف الروايات المسموعة ، روى عنه أنه قال : « صنفت هذا الصحيح من ثلثمائة ألف حديث » .

والكتاب ثمرة حياة مباركة استغلها صاحبها في السفر والارتحال والكد والجد ، والجمع والحفظ ، والكتابة والتنقيح ، حتى كان كما ترى صحة وتهذيبا وتنسيقا ، وقد مكث هو وبعض تلاميذه يكتبون ويحررون حتى تم تأليفه في خمس عشرة سنة .

روى عن أحمد بن سلمة أنه قال : « كتبت مع مسلم في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة وهو اثنا عشر ألف حديث » .

فلا تعجب اذا كان مسلم يشيد بذكر صحيحه فيقول - تحدثا بنعمة ربه عليه - : « لو أن أهل الأرض يكتبون الحديث مائتي سنة ما كان مدارهم إلا على هذا المسند » .

ويدل على شدة تحريه ، واستيثاقه من المرويات قوله : « ما وضعت شيئاً في كتابي هذا إلا بحجة ، وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة » .

سماحة الإمام في البحث :

ولم يكن مسلم متعصبا لرأيه بل كان يتسم بسمة العلماء الحقيقيين الذين يبتغون الحق ، ولا عليهم لو ظهر على لسان أى شخص كان ، ولا يرون غضاضة في الرجوع الى الحق اذا ظهر ، بل يعتبرونه فضيلة .

وبعد انتهائه من تدوين صحيحه عرضه على أئمة هذا العلم النبوى الشريف . روى الخطيب بإسناده عن مكى بن عبدان أحد حفاظ نيسابور قال : سمعت مسلما

يقول : عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي (١) .

فكل ما أشار أنه له علة تركته ، وكل ما قال : إنه صحيح وليس له علة خرجته ، وهذا غاية التواضع ، وعدم الاعتزاز بالنفس ، والإعجاب بالرأى وهو أدب عال من آداب البحث في الاسلام .

منهج مسلم في صحيحه :

لم ينص الامام مسلم على أن شرطه في صحيحه (٢) هو كذا ، وإنما استخرج العلماء ذلك من النظر في كتابه ، والذي استخلصوه أن شرطه في صحيحه أنه لا يخرج الأحاديث إلا عن العدول الضابطين ، الموثوق بصدقهم وأمانتهم ، وحفظهم ويقظتهم وعدم غفلتهم ، كما يخرج عن ذلك من الرواة وأنه لا يخرج في كتابه بالأصالة إلا الأحاديث المسندة المتصلة المرفوعة الى النبي ﷺ .

(١) هو حافظ عصره عبيد الله بن عبد الكريم ، كان من أفراد الدهر حفظا وذكاء ودينا ، واخلاصا وعلما وعملا ، وكانت وفاته سنة أربع وستين ومائتين .

(٢) وذلك فيما عدا العنعنة فقد ذكر في مقدمة صحيحه اكتفاءه في افادتها الاتصال بالمعاصرة ولم يشترط اللقى وأنحى باللائمة على من اشترطه أيضا .

ومعنى هذا أنه لم يلزم نفسه بما التزم به البخارى من مراعاة مستوى خاص فى الرواية والرواة ، بل توسع فى شرطه فروى عن رواية لم يرو لهم البخارى فى صحيحه ولعلك على ذكر من المثل الذى ذكرناه أثناء الكلام على شرط البخارى فى صحيحه ، وهو أن تلامذة الامام ابن شهاب الزهرى على خمس طبقات : الأولى ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ولكل طبقة مزية على التى تليها فى الحفظ والاتقان وطول الملازمة والصحة .

وقد ذكرنا هناك أن البخارى يخرج أحاديث الطبقة الأولى ، ويخرج من أحاديث الطبقة الثانية قليلا وفى غير أصول الكتاب .

أما مسلم فيخرج أحاديث رجال الطبقة الأولى والثانية استيعابا ، ويخرج من أحاديث الطبقة الثالثة قليلا ، وذلك فى المتابعات والشواهد لا فى أصل الكتاب ، ولعل فيما ذكره مسلم فى مقدمة صحيحه ما يلقى لنا ضوعا نتعرف به شرطه فى صحة ذلك أنه قسم الأحاديث ثلاثة أقسام :

الأول : ما رواه الحفاظ المتقنون .

الثانى : ما رواه المستورون المتوسطون فى الحفظ والإتقان •

الثالث : ما رواه الضعفاء والمتركون وقد ذكر أنه إذا فرغ من القسم الأول أتبعه الثانى وأما الثالث يعرج عليه (١) وهو يؤيد ما ذكرناه •

خصائص صحيح مسلم :

وقد امتاز صحيح مسلم بأن مؤلفه سلك فيه طريقة حسنة ، ذلك أنه يجمع المتون كلها بطرقها فى موضع واحد ، ولا يفرقها فى الأبواب ، ولا يكررها إلا فى القليل النادر ، إلا إذا كانت هناك ضرورة لهذا التكرار كفاءة زائدة فى سند الحديث أو متنه •

وقد سهل له هذا المنهج أنه لم يقصد أن يضم الى جمع الأحاديث بيان فقها واستنباط الأحكام والآداب منها •

أما البخارى فقد قصد الى ذلك فمن ثم اضطر الى طريقته التى سلكها فى صحيحه •

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ٤٨

ومن هذه الخصائص: التدقيق في الألفاظ، والمحافظة على اللفظ ما وسعه الأمر حتى إذا خالف راو راويا آخر في لفظه والمعنى واحد فرواها بعضهم بلفظ والآخر بلفظ آخر بينه ، وكذا إذا قال راو (حدثنا) وقال آخر (أخبرنا) (١) بين الخلاف في ذلك ، وكذلك إذا روى الحديث جماعة وكانت هناك مغايرة في بعض الألفاظ فإنه يبين أن اللفظ المذكور من رواية فلان ، ولذا تجده يقول في هذا النوع من الحديث : (واللفظ لفلان) ، وهذا غاية الدقة والأمانة في النقل اللتين امتاز بهما مثل الامام مسلم .

وأیضا فقد حرص مسلم أن لا يذكر في كتابه إلا الأحاديث المسندة المرفوعة - أي المنسوبة الى النبي ﷺ - فلذلك لم يذكر أقوال الصحابة ولا التابعين وليس فيه بعد المقدمة إلا الأحاديث المرفوعة .

وكذلك لم يكثر مسلم في كتابه من الأحاديث المعلقة (٢) . فليس فيه إلا اثنا عشر حديثا وهي في المتابعات لا في أصول الكتاب ومقاصده ، هذا وهناك

(١) الذي عليه جمهور المحدثين - ومنهم مسلم - التفرقة بين حدثنا ، وأخبرنا ، فالأول بما سمعه الراوى من لفظ شيخه ، والثانى لما قرأه التلميذ على شيخه .

(٢) هي ما حذف من مبتدأ اسنادها واحد أو أكثر .

- غير ما ذكرنا - خصائص تظهر لمن يدرس الكتاب
حق الدرس .

مقدمة صحيح مسلم :

ولصحيح مسلم مقدمة ، قيمة عرض فيها لتقسيم
الأخبار وما يخرجها في صحيحه منها ، وأحوال الرواة ،
والكشف عن معائبهم ، وبيان حرمة الكذب على رسول
الله ﷺ ، والحث على التثبت في الرواية ، والنهي عن
الرواية عن الضعفاء والمتروكين ، وبيان أن الإسناد من
الدين وأفاض في بيان الاحتجاج بالحديث المعنعن ،
وهي تعتبر من المؤلفات القيمة المبتكرة في علم أصول
الحديث .

تبويب الصحيح :

ومما ينبغي أن يعلم أن مسلماً لم يضع لكتابه تراجم
للأبواب بالفعل ، وإنما جمع الأحاديث المتعلقة
بموضوع واحد في مكان واحد فجاء كتبه في قوة
المبواب .

ولعل مسلماً فعل ذلك ليشحذ القارئ للكتاب ذهنه

ويعمل فكره في البحث والاستنباط ، والكشف عن مقاصد الأحاديث ومدلولاتها .

وأما ما تراه من ذكر العناوين للكتب والأبواب في بعض النسخ المطبوعة فليس من صنع المؤلف وإنما هو من صنع من جاء بعده من الشراح .

وأحسن من وضع له التراجم ، وبوب الأبواب الامام النووي في شرحه فكن على بيته من ذلك .

عدد أحاديث صحيح مسلم :

قد سمعت أنفا قول أحمد بن سلمة وهو الذي نسخ لمسلم صحيحه إنه اثنا عشر ألف حديث ، وذكر ابن الصلاح عن أبي قريش الحافظ أن عدته أربعة آلاف حديث (٤٠٠٠) ويمكن الجمع بين الرأيين بأن الأول بالمكرر والثاني بغير المكرر .

وقد وهم بعض المؤلفين كالأستاذ أحمد أمين في ضحى الاسلام (١) حيث ذكر أنه بالمكرر سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا وذلك لأن هذه العدة إنما ذكرها ابن الصلاح في صحيح البخاري لا في صحيح مسلم .

(١) ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٣١

الأحاديث المنتقدة على صحيح مسلم :

جملة الأحاديث المنتقدة على صحيح مسلم مائة
واثنان وثلاثون حديثا ، منها ما شاركه الامام البخارى
فيها وهي (٣٢) حديثا والباقي قد انفرد به مسلم وهي
مائة حديث .

أما ما اشتركا فيه فقد أجاب عنه الحافظ ابن حجر
في مقدمته الشهيرة .

وأما ما انفرد به مسلم فقد أجاب عنه الامام النووي
في شرحه على صحيح مسلم ، وجل الانتقادات الجواب
عنها سهل يسير ، ولكنها قليلة جدا ، ومن ذلك حديث
أبى سفيان بن حرب - رضى الله عنه - في تزويج بنته
أم حبيبة للنبي ﷺ مع أن النبي ﷺ تزوجها قبل ذلك
وهي مهاجرة بالحبشة ، ووكل النجاشي في العقد عليها ،
ولم يكن أبوها أسلم ، إذ هو من مسلمة الفتح ، فقد
وهم - غلط - في هذا بعض رواته قطعاً .

وحديث أبى هريرة مرفوعا « خلق الله التربة يوم
السبت . . . » الحديث وفيه خلق السموات والأرضين
وما بينهما في سبعة أيام ، ورفع غلط والصحيح وقفه

على أبى هريرة ويكون مما تلقاه عن كعب الأحبار من
إسرائيليات أهل الكتاب كما نبه على ذلك جماعة من
حفاظ الحديث ونقاده .

وحديث صلاة الكسوف (١) بثلاث ركوعات وأكثر ،
فقد أعله بعض الحفاظ واعتبروه غلطا من راويه ، ولكن
مما يقلل الخطب في هذا الأخير أن مسلما خرج الروايات
الصحيحة المحفوظة الدالة على صلاة الكسوف وفي كل
ركعة ركع ركوعين فحسب (٢) .

ومهما يكن من شيء فهي هنات قليلة جدا لا تكاد
تذكر بجانب آلاف الأحاديث الصحيحة التي خرجها في
الصحيح ، ولم يرد عليها أى نقد .

ومن ثم يتبين لنا بعد البحث والتحقيق أن الكتاب
على درجة عالية من الصحة ، وأنه من كتب السنة
وأصولها المعتمدة ، وأن نقد الناقدين له إنما هو لأن
مسلما قد نزل في هذه الأحاديث عن درجة ما التزمه في

(١) وقد أجاب بعض الفقهاء والمحدثين عن هذا بأن الكسوف كان
يختلف طولا وقصرا فاذا قصر ركع ركوعين في كل ركعة ، وإذا طال
ركع ثلاث ركوعات وأكثر ، وهو تأويل مقبول وقد أخذ بأحاديث
الزيادة بعض الصحابة والفقهاء .

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد ج ١ ص ١٢٤ وما بعدها .

كتابه لا أن أحداً من أئمة النقد قال إن فيه أحاديث
موضوعة على معنى أن روايتها كذابون ، أو ضعيفة على
ضعف روايتها ، وعدم عدالتهم ، كما يزعم بعض
المغرضين وأبواق المستشرقين والمبشرين ، أعداء السنة
والأحاديث والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى
لولا أن هدانا الله .

هل استوعب الصحيحان كل الأحاديث الصحيحة ؟ :

لم يستوعب صاحبا الصحيحين الصحيح ، ولا أخذا
على أنفسهما ذلك قط ، فقد روى عن البخارى أنه قال :
« ما أدخلت في كتاب الجامع الصحيح الا ما صح ،
وتركت من الصحاح لمال الطول » وأنه قال : « أحفظ
مائة ألف حديث صحيح ، ومائتى ألف حديث غير
صحيح » مع أن ما في صحيحه لا يبلغ عشر المائة ألف
الصحيحة التى يحفظها .

وقال مسلم فى صحيحه : « ليس كل شىء عندى
صحيح وضعته هنا - يعنى فى صحيحه - إنما وضعت
ما أجمعوا عليه » .

وهذا اعتراف صريح منهما بأنهما لم يذكرنا فى
كتابيهما كل الصحيح .

وأيضاً فهناك أحاديث كثيرة موجودة في كتب السنن الأربعة: سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه - لم يذكرها في كتابيهما ولا ذكرها أحدهما .

وكذلك يوجد في مسند الامام أحمد من الأحاديث ما يوازي كثيراً من أحاديث مسلم بل والبخاري أيضاً وليست في كتابيهما ، ولا في كتاب أحدهما وكذلك استدرك الحاكم أبو عبد الله على الصحيحين كتاباً كبيراً مما فاتهما ، وهو وان لم يكن مصيباً في كل ما استدركه إلا أنه يخلص له منه صحيح كثير (١) ، وكذلك يوجد في معجمي الطبراني الكبير والأوسط ، ومسند أبي يعلى والبزار وغيرها ما يتمكن المتبحر في هذا العلم من الحكم بصحة كثير منه ، ومن ثم يتبين لنا أن ما قاله بعض العلماء الحفاظ : « قل ما يفوت البخاري ومسلم من الأحاديث الصحيحة خلاف الحق والواقع » .

وإذا كان الأمر على ما ذكرنا فليس لأحد أن ينكر حديثاً صحيحاً أو لا يأخذ به بحجة أنه ليس في الصحيحين .

(١) الباعث الحثيث ص ١٤ .

الموازنة بين الصحيحين

اتفق العلماء على أن كتب الحديث هما الصحيحان ،
ويكاد يجمع العلماء على أن صحيح البخاري أصح
الكتابين ، وأكثرهما فوائد .

قال الإمام النسائي : ما في هذه الكتب كلها أجود من
كتاب محمد بن اسماعيل البخاري ، والنسائي لا يعنى
بالجودة إلا الصحة ومثل هذه الشهادة من مثل النسائي
غاية في الإنصاف وهو من هو في شدة تحريه وتوقيه
وعدم مجازفته في القول وتثبته في نقد الرجال وتقدمه
في ذلك على أهل عصره .

وقال الدراقطني : لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا
جاء .

وذهب أبو علي النيسابوري الى ترجيح صحيح
مسلم ، روى عنه أنه قال : « ما تحت أديم السماء أصح
من كتاب مسلم بن الحجاج » والى هذا ذهب بعض
المغاربية ، ونسب الى أبي محمد بن حزم الإمام
الظاهري ، .

وفي الحق أن القائلين بتفضيل صحيح مسلم إن أرادوا الترجيح فيما يرجع الى حسن البيان ، والسياق ، وجودة الوضع ، والترتيب بجمع الطرق في مكان واحد ، وعدم تجزئة الحديث في أبواب ، والاقتصار على المرفوع دون الموقوف والمعلق الى غير ذلك مما عرضنا له في بيان خصائصه فلا ننازعهم في هذا بل الحق معهم .

وإن أرادوا غير هذا ، وأن الترجيح يرجع الى نفس الصحة والشروط التي تتوقف عليها ، فكلامهم غير مسلم ومردود .

ومهما يكن من شيء فالكتابان هما أصح ما ألفه المحدثون ، وقد أدى مؤلفاهما الى الدين والى الأمة الإسلامية خدمة جليلة لا تنكر ، بل تذكر بالإكبار ، فتشكر ، نسأل الله سبحانه أن يجزل ثوابهما ، ما استفاد من الكتابين مستفيد .

شروح صحيح مسلم :

كما عنى العلماء بصحيح البخارى ، كذلك عنوا بصحيح مسلم تهذيبا واختصارا ، وشرحا وفقها ، وإن

كانت العناية بشرح مسلم لم تبلغ العناية بشرح البخارى ، وأشهر شروحه :

١ - « المعلم بفوائد كتاب مسلم » للإمام أبى عبد الله محمد بن على المازرى (١) المتوفى سنة ٥٣٦ هـ وهو مخطوط بدار الكتب المصرية وبه خرم - أى نقص من الأول .

٢ - « إكمال المعلم فى شرح صحيح مسلم » .

للإمام القاضى عياض بن موسى اليحصبى المالكى المتوفى سنة ٥٤٤ هـ ، وهو مخطوط ، والموجود منه بدار الكتب المصرية ستة أجزاء فقط من نسخ متعددة .

٣ - شرح الإمام الحافظ أبى زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووى الشافعى صاحب المؤلفات النافعة القيمة ، ولد فى المحرم سنة احدى وثلاثين وستمائة ، وتوفى فى نوى فى رجب سنة ست وسبعين وستمائة هجرية سماه : « المنهاج فى شرح صحيح مسلم ابن الحجاج » .

(١) مازر كهاجر پليده بجزيرة صقلية « وفيات الأعيان » .

اعتمد فيه على كلام من تقدمه كالمازري وعياض ،
وهو شرح وسط حيناً وموجز حيناً آخر ، عرض فيه
مؤلفه لبيان العقائد والأحكام والأخلاق والآداب ،
واللغات ، وضبط الأسماء ، والتوفيق بين ما ظاهره
التعارض من الأحاديث والآثار ، وذكر أدلة الأقوال
والمذاهب .

والشرح مقدمة جلية في علوم الحديث وأصول
الرواية ، وتعتبر مفتاحاً للصحيح ، وفي الشرح مواضع
- ولا سيما في أوله - أطال فيها النفس ، وقصد إلى
البسط والاستيعاب فأجاد فيها وأفاد ، وأقنع وأشبع ،
وفيه مواضع طوى فيها الحديث ، وقد يكون فيه ألفاظ
غريبة ، ومعان مشككة ، واكتفى في شرح الحديث
بكلمات مجملة ، لا تروى النفوس المتعطشة للبحث
والاستقصاء .

ومهما يكن من شيء فهو أجل الشروح المطبوعة ولا
سيما مقدمته القيمة ، وتبويبه للصحيح هذا التبويب
الفائق في الحسن .

وقد طبع هذا الشرح غير مرة بالقاهرة والهند .

٤ - شرح الإمام أبي عبد الله محمد بن خليفة
الوشناني المالكي المتوفى سنة ١٣٧ هـ ، وهو في عدة
مجلدات سماه « إكمال المعلم » وقد ذكر في مقدمة شرحه
أنه ضمنه شروحه الأربعة : (المازري ، وعياض ،
والقرطبي ، والنووي) ، مع زيادات وتكميلات من
عنده ، وقد أشار الى كلام أصحاب هذه الشروح
بالحروف ، فأشار بالميم الى المازري ، وبالعين الى
عياض ، وبالطاء الى القرطبي وبالดาล الى النووي ،
وإذا قال في شرحه : قال الشيخ ، فمراده شيخه ابن
عرفه .

ويغلب على الشرح ذكر التفريعات الفقهية ، ولا سيما
عند المالكية ، وفيه من الفوائد ما لا يعثر عليه الباحث
في غيره .

٥ - شرح الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد
ابن يوسف السنوسي الحسني المتوفى سنة ١٩٥ هـ . وهو
مختصر لشرح الأبي السابق ، وقد اكتفى بالرموز عن
أسماء العلماء الذين ينقل عنهم على نحو ما فعل سلفه
إلا أنه رمز للنووي بحرف (الحاء) وللأبي بحرف الباء .

وفي الحق أنه لم يزد على الأبي إلا في القليل النادر جدا

فهو نسخة مكررة منه وهذا الشرح والذي قبله مطبوعان في كتاب واحد على نفقة سلطان المغرب الأقصى مولاي « عبد الحفيظ » رحمه الله وأثابه - سنة ١٣٢٨ هـ .

حاجة صحيح مسلم الى شرح مبسوط :

وعلى كثرة شروح صحيح مسلم المخطوط منها والمطبوع فلا يزال الكتاب في حاجة الى شرح واف شاف ، ولو أن جماعة من العلماء المشتغلين بالسنة وخدمتها المعروفين بسعة الاطلاع والتعمق في البحث ، ومعرفة المذاهب العلمية قديمها وحديثها ، قامت بشرح هذا الكتاب شرحا جامعا لكل ما يحتاج إليه الباحث والمستفيد من لغة ، وبلاغة ، وحكم ، وأحكام ، وبيان ما تشتمل عليه الأحاديث من توجيهات نبوية ، وآداب إسلامية ، وتحقيق الروايات ، والتوفيق بين ظاهرة التعارض منها ورد الشبه الواردة على بعض الأحاديث قديما وحديثا ردا علميا صحيحا ، وتقديم هذه البحوث في أسلوب سهل مستساغ ، أقول : لو تم ذلك لكان خدمة تقدم للإسلام والمسلمين ، وأعظم شاهد على خصوبة العقلية الإسلامية ، وأنها لم تصب بالعقم والجمود .

وقد وضعت لما أسند إلى تدريس بعض موضوعات هذا الصحيح في كلية أصول الدين إحدى كليات جامعة الأزهر المعمور - أولى اللبانات في شرح هذا الكتاب ، فشرحت بعض موضوعاته في ثلاثة أجزاء صغيرة ، وعسى أن يوفق الله سبحانه لإتمام شرح هذا الكتاب الجليل .

مختصرات صحيح مسلم :

ولصحيح مسلم مختصرات منها :

١ - مختصر الشيخ أبي عبد الله شرف الدين محمد ابن عبد الله المرسي ، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

٢ - مختصر الشيخ الامام أحمد بن عمر بن ابراهيم القرطبي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ، وله شرح على هذا المختصر ذكر فيه : أنه لما لخصه ، ورتبه وبوبه ، شرح غريبه ، ونبه على مسائل من الإعراب وعلى وجوه من الاستدلال بأحاديثه ، وسمى شرحه هذا « المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم » وكثيرا ما ينقل عنه الامام النووي في شرحه على مسلم ، والحافظ ابن حجر في فتح الباري .

٣ - مختصر الامام الحافظ زكى الدين عبد العظيم
ابن عبد القوى المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ وقد شرح
هذا المختصر الشيخ عثمان بن عبد الملك المصرى المتوفى
سنة ٧٣٨ هـ .



الإمام أبو داود

٢٠٢ - ٢٧٥ هـ

نسبه ومولده :

هو الامام الثبت سيد الحفاظ سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (١) صاحب السنن ، ولد سنة اثنتين ومائتين .

نشأته وارتحاله :

نشأ أبو داود من صغره محبا للعلم والعلماء ولازمهم وشرب من معينهم علا بعد نهل .

ولم يكد يبلغ مبلغ الرجال حتى أخذ نفسه بالارتحال فطوف في البلاد وسمع من خلق كثير بالحجاز ، والشام ،

(١) قال ابن خلكان في وفياته « ج ١ ص ٣٨٢ » : « انه نسبة الى سجستان الاقليم المشهور ، وقيل بل نسبة الى سجستان ، او سجستانة قرية من قرى البصرة » وقد تعقبه السبكي في القول الثاني وعده من أوهامه فقال : هذا وهم ، والصواب انه نسبة الى الاقليم المعروف المتاخم لبلاد الهند بين السند وهرارة ، او بين خراسان وكرمان ، ويقال في النسبة اليها أيضا السجزي وهو من عجيب التغير في النسب ، والأزدي نسبة الى الأزدي من اليمن .

ومصر ، والعراق ، والجزيرة ، والثغر ، وخراسان ،
وغيرها مما أعانه على الاطلاع على أكبر قسط من
الأحاديث التي غرّبها ، وأودع خلاصتها كتابه «السنن»
وقد قدم بغداد غير مرة ، وحدث أهلها بكتاب السنن ،
بل يقال : إنه ألفه بها وعرضه على امام أهل السنة
أحمد بن حنبل ، فاستجاده واستحسنه ، وقد اتخذ من
البصرة موطناً ، وذلك لما عزم عليه أميرها على المقام
بها ، لتصبح كعبة أهل العلم وطلاب الحديث .

شيوخه :

وله شيوخ كثيرون من أعيانهم أحمد بن حنبل ،
والقعبى ، وأبو عمرو الضرير ، ومسلم بن إبراهيم ،
وعبد الله بن رجاء ، وأبو الوليد الطيالسى وغيرهم ،
وقد شارك البخارى ومسلما فى بعض شيوخهما كأحمد
ابن حنبل وعثمان بن أبى شيبة ، وقتيبة بن سعيد .

من روى عنه :

وروى عنه الحديث وأخذ العلم كثيرون منهم
أبو عيسى الترمذى ، وأبو عبد الرحمن النسائى ، وابنه
أبو بكر بن أبى داود ، وأبو عوانة ، وأبو سعيد

ابن الأعرابي وأبو علي اللؤلؤي ، وأبو بكر بن داسة ،
وأبو سالم محمد بن سعيد الجلودي وغيرهم .

وحسبه فضلا أن يروى عنه شيخه أحمد بن حنبل
حديثا ويكتبه عنه (١) وهو ما رواه أبو داود من حديث
حماد بن سلمة عن أبي معشر الدارمي عن أبيه « أن
رسول الله ﷺ سئل عن العتيرة فحسنها » (٢) .

أخلاقه وسمته (٣) :

كان أبو داود من العلماء العاملين بعلمهم ، وكان
على درجة عالية من النسك والعفاف ، والصلاح ،
والورع ، وكان مثالا يحتذى في هديه وسمته ، ويفصح
عن هذا أن بعض الأئمة قال : كان أبو داود يشبه بأحمد
ابن حنبل في هديه ، ودله (٤) ، وسمته ، وكان أحمد

(١) البداية والنهاية ج ١١ ص ٥٥

(٢) العتيرة شاة كانوا يذبحونها في رجب فيأكلون منها ويطعمون
من يجيئهم ، وقيل : كان الواحد منهم ينذر ان بلغ مالي كذا وكذا
ذبحت منها رأسا ، فلما جاء الاسلام أقرها واستحبها لما فيها من البر
وعمل الخير ، وأما حديث « لا فرع ولا عتيرة » ورواه البخاري فالمعنى
لا عتيرة واجبة فلا ينافي استحبابها .

(٣) السميت : الهيئة والوقار .

(٤) في القاموس : الدل كالهدى وهما من السكينة والوقار ،
وحسن المنظر .

يشبه في ذلك بوكيع وكان وكيع يشبه بسفيان الثوري وسفيان بمنصور ، ومنصور بابراهيم النخعي ، وابراهيم بعلقمة ، وعلقمة بابن مسعود وكان ابن مسعود يشبه بالنبي ﷺ في هديه ، ودله ، وسمته وتلك - لعمر الحق - منقبة شريفة تدل على كمال دين ، وهدى ، وخلق .

وكان صاحب حكمة وفلسفة في هيئة ثيابه فقد كان له كم واسع وكم ضيق فقيل له في ذلك فقال : الواسع للكتب ، والآخر لا يحتاج اليه فتوسيعه إسراف .

ثناء العلماء عليه :

كان أبو داود علما من أعلام الاسلام حفظا وفقها وعلما بالأحاديث وعلما وقد حظى بتقدير العلماء له ولاسيما شيخه أحمد بن حنبل ، وقال فيه الحافظ موسى بن هارون : خلق أبو داود في الدنيا للحديث ، وفي الآخرة للجنة ، وما رأيت أفضل منه ، وجاءه سهل بن عبد الله التستري العالم المتصوف فقيل له : هذا سهل قد جاءك زائرا ، فرحب به وأجلسه فقال له : يا أبا داود لي اليك حاجة قال : وما هي ؟ قال : حتى تقول قضيتها

مع الإمكان ، قال : قد قضيتها مع الإمكان ، قال : أخرج
لسانك الذي حدثت به عن رسول الله ﷺ حتى أقبله ،
فأخرج لسانه فقبله .

ولما صنف أبو داود كتاب السنن قال ابراهيم الحربي
العالم الحافظ : ألين لأبي داود الحديث ، كما ألين لداود
الحديد ، وهو تشبيه يدل على فضل الرجل في صنعة
الحديث وأنه يسر العسير ، وقرب البعيد ، وذلك
الصعب .

ووصفه أبو بكر الخلال الحافظ الفقيه الحنبلي الكبير
فقال : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الامام
المقدم في زمانه ، رجل لم يسبقه الى معرفة تخرج
العلوم ، وبصره بمواضعها أحد من أهل زمانه ، وكان
أبو بكر الأصبهاني وأبو بكر بن صدقة يرفعان من قدره ،
ويذكرانه بما لا يذكران أحدا في زمانه بمثله .

مذهبه الفقهي :

قد عده الشيخ أبو اسحاق الشيرازي في طبقات
الفقهاء من جملة أصحاب الامام أحمد ، وكذلك ذكره

في طبقات الحنابلة (١) القاضي أبو الحسين محمد بن
القاضي أبي يعلى المتوفى سنة ٥٢٦ هـ ولعل ذلك لأن
الامام أحمد كان من خاصة شيوخه وقيل : إنه كان
شافعياً .

والذي يترجح عندي أنه كان مجتهداً ، كما يدل على
ذلك صنيعه وتصرفه في سننه ولا سيما أن الاجتهاد كان
صفة من صفات أئمة الحديث في العصور الأولى .

اعتزازة بكرامة العلم والعلماء :

ومما يدل على هذا الاعتزاز ما ذكره الإمام الخطابي
بسنده عن أبي بكر بن جابر خادم أبي داود قال : كنت
مع أبي داود ببغداد فصلينا المغرب إذ قرع الباب
ففتحته ، فإذا خادم يقول هذا الأمير أبو أحمد الموفق
يستأذن ، فدخلت على أبي داود فأخبرته بمكانه ، فأذن
له ، فدخل وقعد ، ثم أقبل عليه أبو داود وقال ما جاء
بالأمير في مثل هذا الوقت ؟ فقال : خلال ثلاث ، فقال :
ما هي ؟ قال : تنتقل الى البصرة فتتخذها وطناً ليرحل
إليك طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بك ، فإنها قد

(١) طبقات الحنابلة ص ١١٨

خربت وانقطع عنها الناس لما جرى من مجيء الزنج
فقال : هذه واحدة . هات الثانية . قال : وتروى
لأولادى كتاب السنن فقال : نعم . هات الثالثة . فقال :
وتفرد لهم مجلسا للرواية فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون
مع العامة فقال أبو داود : أما هذه فلا سبيل إليها ،
لأن الناس شريفهم ووضعهم في العلم سواء قال ابن
جابر : فكانوا يحضرون بعد ذلك ويقعدون ، ويضرب
بينهم وبين الناس ستر فيستمعون مع العامة .

وهكذا فليكن العلماء : لا يسعون إلى الملوك
والأمراء ، وإنما يسعى إليهم الملوك والأمراء ، وهكذا
فلتكن المساواة في العلم والمعرفة .

وفاته :

وبعد هذه الحياة الحافلة بالعلم ، وجمع الأحاديث
ونشرها توفي بالبصرة التي اتخذها موطنًا ، لما عرض
عليه أميرها سكنها على ما سمعت ، وكانت وفاته في
شوال سنة خمس وسبعين ومائتين فرضى الله عنه
وأرضاه .

ابنه ابو بكر :

وقد ترك الإمام أبو داود ابنا يسمى «عبد الله» وقد صار حافظا كبيرا حتى قيل إنه أحفظ من أبيه ، وهو أبو بكر عبد الله بن أبي داود ، فهو إمام ابن إمام ولد أبو بكر سنة ثلاثين ومائتين وتوفي سنة عشرة وثلاثمائة .

مؤلفاته :

ولأبي داود مؤلفات كثيرة منها •

- (١) كتاب السنن •
- (٢) كتاب المراسيل •
- (٣) كتاب القدر •
- (٤) الناسخ والمنسوخ •
- (٥) فضائل الأعمال •
- (٦) كتاب الزهد •
- (٧) دلائل النبوة •
- (٨) ابتداء الوحي •
- (٩) أخبار الخوارج ، وأجل هذه الكتب وأبقاها كتاب السنن وسنن الكلام عنه •

كتاب السنن لأبي داود

منهج أبي داود في تأليف سننه :

كانت المؤلفات في الحديث - الجوامع والمسانيد ونحوها - يذكر فيها الى جانب الأحكام أحاديث الفضائل والقصص والمواعظ ، والآداب ، والتفسير ، حتى جاء أبو داود فجعل كتابه خاصا بالسنن والأحكام مع الاستقصاء ، ولما صنف كتابه عرضه على الامام أحمد ابن حنبل فاستجاده ، واستحسنه ، ولم يلتزم فيهِ مؤلفه تخريج الصحيح فحسب - كما فعل البخاري ومسلم - بل خرج الصحيح ، والحسن ، والضعيف المحتمل ، وما لم يجمع الأئمة على تركه ، وأما ما كان فيه ضعف شديد فقد بينه ونبه عليه .

يدل على ذلك قوله في رسالته الى أهل مكة ، التي كتبها لهم جوابا على سؤالهم عن كتابه السنن ، قال : كتبت عن رسول الله - ﷺ - خمسمائة ألف حديث ، انتقيت منها أربعة آلاف وثمانمئة حديث ضمنتها هذا

الكتاب ، وجمعت فيه الصحيح ، وما يشبهه ويقاربه (١) ،
وما ذكرت في كتابي حديثا أجمع الناس على تركه ،
وما كان من حديث فيه وهن شديد فقد بينته ، ومنه
ما لا يصح سنده ، وما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح (٢) ،
وبعضها أصح من بعض ، ولا أعلم بعد القرآن شيئا
ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب ، ويكفى الانسان
لدينه من ذلك أربعة أحاديث :

أحدها : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ
ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته
الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها
أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

ثانيها : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

ثالثها : « لا يكون المؤمن مؤمنا حقا ، حتى يرضى
لأخيه ما يرضاه لنفسه » .

(١) المراد به ما يعرف عند المحدثين بالحديث الحسن وهو ما كان
دون الصحيح في ضبط روايته وحفظهم .

(٢) يعنى للاحتجاج ، والحق أن ما سكت عنه يبحث عنه ويحكم
عليه بما يليق بحاله من صحة أو ضعف فقد يكون صالحا للاحتجاج
به في نظر أبي داود وهو ليس كذلك .

رابعها : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور
مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى
الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في
الشبهات وقع في الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى
يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن
حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت
صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى
القلب » .

ويمكن توجيه مقالة أبى داود هذه على أن الحديث
الأول أصل فى باب النية والإخلاص وهو أساس كل
الأعمال الدينية والدنيوية ، والحديث الثانى كاف
لتوجيه المسلم الى الاشتغال بالنافع فى الدين والدنيا ،
والحديث الثالث يكفى لمراعاة حقوق الأهل والجيران ،
وإحسان المعاملة مع الغير ، وترك الأثرة ، ونزع الحقد
والحسد والبغضاء من النفوس .

والحديث الرابع أصل فى معرفة الحلال والحرام ،
وتحصيل الورع بتجنب الأمور المشككة المشتبهة التى
تنازع فيها العلماء واختلفوا ، فإن التساهل فى مثل هذا
يجر الى الاستهانة بالحرام والوقوع فيه .

وبهذا التوجيه ظهر أن الأحاديث الأربعة كافية
إجمالاً في تحصيل السعادة .

آراء العلماء في منزلة سنن أبي داود :

إليك بعض أقوال العلماء في السنن .

قال الحافظ أبو سليمان الخطابي في مقدمة
كتابه (معالم السنن) : « اعلموا - رحمكم الله - أن
كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم
الدين كتاب مثله ، وقد رزق القبول من كافة الناس
فصار حكماً بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على
اختلاف مذاهبهم ، فكل منهم ورد ، ومنه شرب (١) ،
وعليه معول أهل العراق ومصر ، وبلاد المغرب وكثير
من أقطار الأرض ... » .

وقال ابن الأعرابي - أحد رواة السنن - : « لو أن
رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف ، ثم كتاب أبي
داود لم يحتج معهما إلى شيء » .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي : « إنها تكفي المجتهد
في العلم بأحاديث الأحكام » وكذا أثنى على السنن
الإمامان النووي وابن قيم الجوزية .

(١) الورد والشرب يكسر أولهما ما يورد وما يشرب .

قال ابن القيم : « ولما كان كتاب السنن لأبي داود السجستاني سليمان بن الأشعث - رحمه الله - من الإسلام بالموضع الذي خصه الله به بحيث صار حكماً بين أهل الإسلام ، وفصلاً في موارد النزاع والخصام ، فإنه يتحاكم المنصفون ، وبحكمه يرضى المحققون ، فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام ، ورتبها أحسن ترتيب ، ونظمها أحسن نظام ، مع انتقائها أحسن انتقاء ، واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء . . جعلت كتابه أفضل الزاد . . الخ » .

الأحاديث المنتقدة على السنن :

وقد انتقد الإمام الحافظ ابن الجوزي بضعة أحاديث ذكرها أبو داود في سننه ، وعدّها من الموضوعات وهي تسعة أحاديث ، ومع ما عرف عن ابن الجوزي من التساهل في الحكم بالوضع فقد نازعه فيها بعض الحفاظ كالجلال السيوطي ورد عليه فيها ، ولو سلمنا لابن الجوزي نقده فهي قليلة جداً لا تكاد تذكر بجانب الآلاف التي اشتمل عليها الكتاب .

لذلك نرى أنها لا تغض من قيمة الكتاب كمرجع موثوق به من كتب السنة ولكننا نوصي الباحث أن لا

يأخذ بالأحاديث التي سكت عنها أبو داود إلا بعد
التمحيص والتدقيق ، حتى يعلم درجتها من الصحة ،
أو الحسن ، أو الضعف .

عدة سنن أبي داود :

قد سمعت أنفا أن عدتها (٤٨٠٠) حديث وقد عدها
بعضهم (٥٢٧٤) حديثا وذلك راجع الى أن بعض العادين
قد يعتبر الحديث المكرر حديثا واحداً ، وقد يعتبره
البعض حديثين أو أكثر ، والطريقتان معروفتان عند
المحدثين .

وقد قسم أبو داود كتابه الى كتب ، والكتب الى
أبواب ، وعدة الكتب (٣٥) كتابا منها ثلاثة كتب لم
يبوب فيها أبوابا ، وعدة الأبواب (١٨٧١) بابا .

شرح سنن أبي داود :

للسنن شرح كثيرة منها :

١ - شرح الإمام أبي سليمان أحمد بن إبراهيم بن
خطاب البستي الخطابي صاحب التصانيف المفيدة

المتوفى سنة (٣٨٨) هـ . سقى شرحه « معالم السنن »
وهو شرح وسط اعتنى فيه باللغات ، وتحقيق الروايات ،
واستنباط الأحكام والآداب وهذا الشرح مطبوع .

٢ - شرح الشيخ شرف الحق الشهير بمحمد أشرف
ابن علي حيدر الصديقي العظيم آبادي المتوفى في القرن
الرابع عشر الهجري سماه « عون المعبود على سنن
أبي داود » اقتصر فيه على كشف بعض اللغات الغريبة ،
والعبارات العويصة ، مجتنباً الإطالة ، ولم يتعرض في
شرحها إلى ترجيح الأحاديث بعضها على بعض إلا على
سبيل الإيجاز ، من غير ذكر أدلة المذاهب المتبوعة على
سبيل الاستيعاب إلا في بعض المواضع التي دعت
إليها الحاجة .

وقد طبع في الهند في أربعة أجزاء كبار .

٣ - « المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود »
للعالم العارف بالله الشيخ محمود بن محمد بن خطاب
السبكي ، وهو شرح مبسوط عنى فيه ببيان تراجم رجال
الحديث ، وشرح ألفاظه ، وبيان معناه ، وما استفاد منه
من الأحكام والآداب ، مع ذكر من أخرج الحديث غير
أبي داود ، ويبين حال كل حديث من الصحة أو الحسن

أو الضعف وقد واثاه أجله قبل أن يتمه في ربيع الأول
سنة ١٢٥٢ هـ وهو مطبوع .

مختصرات السنن :

وقد اختصر سنن أبي داود الإمام الحافظ عبد العظيم
ابن عبد القوي المنذري صاحب « الترغيب والترهيب »
المتوفى سنة ٦٥٦ هـ وقد التزم المنذري أن يذكر عقب كل
حديث من وافق أبا داود على تخريجه من الأئمة
الخمسة ، كما بين علل بعض الأحاديث فأحسن في عمله
وأجاد .

تهذيب المختصر :

وقد هذب هذا المختصر وشرحه الامام محمد بن أبي
بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ ،
وقد هذبه وزاد عليه الكلام على علل سكت عنها المنذري
أو لم يكملها ، والتعرض لتصحيح أحاديث لم يصحها ،
والكلام على متون مشككة لم يزل اشكالها ، وبسط
الكلام في مواضع منه لعل الباحث لا يجدها في كتاب
سواه ، كما هو المعروف عن ابن القيم في توفية المقامات
حقها وقد طبع المختصر ، وتهذيبه ، وكتاب « معالم
السنن » للخطابي في كتاب واحد بمصر .

الإمام الترمذى

٢٠٩ - ٢٧٩ هـ

نسبه :

هو الامام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى الترمذى (١) ، أحد الأئمة المحدثين الأعلام ، وصاحب التآليف المشهورة ، والآثار الباقية ، ولد سنة تسع ومائتين .

نشأته وارتحاله :

كان جد أبى عيسى مروزيا ، ثم انتقل الى ترمذ ، فأقام بها ، وقد ولد بها حفيده أبو عيسى ، وقد حجب اليه العلم وطلب الحديث من صغره ، ورحل فى سبيله الى الحجاز ، والعراق ، وخراسان ، وغيرها ، وفى هذه الرحلات قابل كبار الأئمة وشيوخ الحديث ، وأخذ

(١) السلمى : نسبة الى بنى سليم بالتصغير ، قبيلة من غيلان ، والترمذى : نسبة الى « ترمذ » مدينة قديمة على طرف نهر يلخ الذى يقال له : جيحون و « ترمذ » بفتح التاء والميم وكسرهما وضمهما .

عنهم ، وكان يكتب كل ما يسمعه ويقيده في الحل وفي السفر ، وكان لا يدع فرصة دون أن يهتبلها كما تدل على ذلك قصته مع الشيخ الذي لقيه بطريق مكة ، وستأتى عن قرب .

وبعد أن رحل وسمع ، وكتب وذاكر وناظر ، وألف وصنف أضر (١) في آخر عمره ، وبقي ضريرا سنين ، ثم توفي ، وكانت وفاته بترمزذ ليلة الإثنين الثالث عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين عن سبعين عاما .

شيوخه :

وكان له شيوخ كثيرون سمع منهم ، وروى عنهم من أعيانهم : الامام البخاري وبه تخرج ، ومسلم ، وأبو داود ، وشاركهم في بعض أشياخهم ، وقتيبة بن سعيد ، وإسحاق بن موسى ، ومحمود بن غيلان ، وسعيد بن عبد الرحمن ، ومحمد بن بشار ، وعلى بن حجر ، وأحمد بن منيع ، ومحمد بن المثني وغيرهم .

(١) أى أصيب في عينيه وعمى .

تلاميذه :

وأخذ عنه الحديث والعلم خلائق كثيرون منهم
مكحول بن الفضل ، ومحمد بن محمود عنبر ، وحماد
ابن شاکر ، وعبد بن محمد النسفيون ، والهيثم بن
كليب الشاشي ، وأحمد بن يوسف النسفي ، وأبو العباس
محمد بن محبوب المحبوبي - وهو راوية كتابه
الجامع - وغيرهم .

قوة حافظته :

كان أبو عيسى مشهودا له بالحفظ والصلاح والتقوى ،
مع الثقة والأمانة والضبط ، ومما يدل على قوة حفظه ،
وسيلان ذهنه ، ما ذكره الحافظ ابن حجر في « تهذيب
التهذيب » (١) عن أحمد بن عبد الله بن أبي داود قال :
سمعت أبا عيسى الترمذي يقول : كنت في طريق مكة ،
وكنت كتبت جزأين من أحاديث شيخ فمر بنا ذلك
الشيخ ، فسألت عنه ، فقالوا : فلان ، فرحت إليه وأنا
أظن أن الجزأين معي ، وإنما حملت معي في محملي

(١) ج ٩ ص ٣٨٧ ط الهند .

جزئين غيرهما شبههما ، فلما ظفرت به سألته السماع (١) ، فأجاب . وأخذ يقرأ من حفظه ، ثم لمح فرأى البياض في يدي - يعنى أوراقا ليس بها شيء - فقال : أما تستحي منى فقصصت عليه القصة وقلت له : إني أحفظه كله فقال : اقرأ فقرأته عليه على الولا ، قال : هل استظهرت قبل أن تجيء إلى ؟ قلت لا ، ثم قلت له : حدثني بغيره فقرأ على أربعين حديثا من غرائب حديثه ، ثم قال : هات ، فقرأت عليه من أوله إلى آخره فقال : ما رأيت مثلك .

موقف الأئمة النقاد منه :

قد أثنى عليه كبار الأئمة ، وعرفوا له فضله وعلمه قال الحاكم أبو عبد الله : سمعت عمر بن عك يقول : مات البخارى ولم يخلف بخراسان مثل أبى عيسى فى العلم والحفظ والورع والزهد ، وذكره الحافظ الناقد أبو حاتم محمد بن حبان فى (الثقات) وقال : كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر .

(١) هذا يدل على حرص المحدثين على السماع الشفاهى ، وأنهم ما كانوا يكتبون بالكتابة إلا عند تعذر السماع والتلقى المباشر .

وقال أبو يعلى الخليلي في كتابه (علوم الحديث)
محمد بن عيسى الحافظ متفق عليه ، له كتاب في السنن
وكتاب في الجرح والتعديل ، روى عنه أبو محبوب
والأجلاء ، وهو مشهور بالأمانة ، والامامة والعلم ،
وكتابه (الجامع الصحيح) يدل على عظيم قدره ،
واتساع حفظه وكثرة اطلاعه ، وغاية تبحره في فن
الحديث .

ولم نر أحدا غمطه حقه إلا ما كان من الامام ابن حزم
الظاهري ، ولكن لم يوافقه على تجاهله للترمذي أحد
من العلماء الأثبات بل أنحوا على ابن حزم باللائمة .

قال الحافظ الناقد ابن كثير في «البداية والنهاية»^(١) :
وجهالة ابن حزم لأبي عيسى لا تضره حيث قال في
«محلاه»^(٢) : ومن محمد بن عيسى بن سورة ؟ فإن
جهالته لا تضع من قدره عند أهل العلم ، بل وضعت
منزلة ابن حزم عند الحفاظ :

(١) ج ١١ ص ٦٧

(٢) هو كتاب له يسمى «المحلى» .

وكيف يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

وكذلك لام الحافظ ابن حجر بن حزم على تجاهله
للترمذى واعتبر ذلك منه تطاولا على مقام العلماء
الثقات المعروفين (١) .

فقه الترمذى واجتهاده :

قد جمع الترمذى إلى حفظ الحديث ، ومعرفة علله
ورجاله ، الفقه وله فيه باع طويل ، ومن يطالع على
جامعه يعلم مبلغ علمه بالمذاهب الفقهية ، واحاطته
بها ، وتصرفه في عرض المسائل الفقهية تصرف رجل
عالم خبير بها ، واليك مثلا لذلك قال :

« باب ما جاء في : مطل الغنى ظلم »

حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدى
حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة
عن النبي - ﷺ - قال :

(١) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٨٧

« مطل الغنى ظلم وإذا أتبع أحدكم على ملى
فليتبع » (١) .

وقال بعض أهل العلم : إذ أحيل الرجل على ملىء
فاحتاله فقد برىء المحيل ، وليس له أن يرجع على
المحيل ، وهو قول الشافعى وأحمد وإسحاق .

وقال بعض أهل العلم ، إذا توى (٢) مال هذا بإفلاس
المحال عليه أن يرجع على الأول ، واحتجوا بقول عثمان
وغيره حين قالوا : ليس على مال مسلم توى ، وقال
إسحاق : معنى هذا الحديث : « ليس على مال مسلم
توى » هذا إذا أحيل الرجل على آخر وهو يرى أنه ملى
فاذا هو معدم فليس على مال مسلم توى (٣) .

مؤلفاته :

(١) كتاب « الجامع » .

(٢) كتاب « العلل » وهو فى آخر جامع .

(١) المطل : التسوييف وهو يحتتمل أن يكون معناه مطل المدين الفنى
الدائن ظلم أو مطل المدين الدائن الفنى ظلم والملىء والملى : الفنى .

(٢) توى : أى هلك .

(٣) كما يدلنا هذا المثال على حسن تصرف العقلية الفقهية
الاسلامية فى النصوص وطريقة فهمها ، وبعد غورها ، وأصالة نظرها .

- (٣) كتاب « التاريخ »
- (٤) كتاب « الشمائل النبوية »
- (٥) كتاب « الزهد »
- (٦) كتاب « الأسماء والكنى » وأجلها هو « الجامع ».

جامع الترمذى :

هو أجل كتب الترمذى وأنفعها ، وهو يعتبر أحد الكتب الستة ، وأحد الموسوعات الحديثية المشهورة ، وقد اشتهر هذا الكتاب بنسبته الى مؤلفه فيقال : « جامع الترمذى » ويقال له أيضا : « سنن الترمذى » والأول هو الأكثر .

ولم يتخرج بعض العلماء من اطلاق لفظ الصحيح عليه فيقولون : « صحيح الترمذى » ، وهو تساهل ومجازفة (١) كما ستعلم عن كتب .

ولما ألفه الترمذى عرضه على علماء عصره فحاز رضاهم ، روى عنه أنه قال : صنفت هذا الكتاب فعرضته

(١) الباعث الحثيث ص ١٨

على علماء الحجاز ، والعراق ، وخراسان ، فرضوا به ،
ومن كان في بيته فكانما في بيته نبي يتكلم .

منهج الترمذى في جامعه :

لم يلتزم الترمذى في جامعه تخريج الصحيح وحده
بل ذكر الصحيح والحسن ، والضعيف ، والغريب ،
والمعلل وأبان عن علته .

نعم قد التزم أن لا يخرج في كتابه الا حديثا عمل به
فقيه أو احتج به محتج ، وهذا شرط واسع فإنه على
هذا خرج كل حديث بهذه المثابة سواء صح الطريق
اليه أو لم يصح لكنه تكلم على كل حديث بما يليق
بحاله .

وقد روى عنه أنه قال : جميع ما في هذا الكتاب هو
معمول به ، وبه أخذ بعض أهل العلم ما خلا حديثين :
أحدهما حديث : « أنه - صلى الله عليه وسلم - جمع بين الظهر والعصر
والمغرب والعشاء من غير خوف ولا سفر » ، وثانيهما
حديث : « فإن عاد - أى شارب الخمر - في الرابعة
فاقتلوه » .

وهذا الذي قلناه في حديث شارب الخمر هو كما قال :
فهو حديث منسوخ دل الإجماع على نسخه ، وأما حديث
ابن عباس فلم يجمعوا على تركه ، فقد ذهب جماعة
الى جواز الجمع في الحضر لمن لا يتخذ عادة وبه قال
ابن سيرين وأشهب وحكى عن جماعة من الفقهاء وأهل
الحديث واختاره ابن المنذر (١) .

وأغلب الأحاديث الضعاف والمناكير التي وقعت في
كتابه إنما هي في باب الفضائل ، والفضائل يتسامح
فيها ما لا يتسامح في الحلال والحرام .

ومما ينتقد عليه تخريجه أحاديث « المصلوب »
و « الكلبى » وكلاهما متهم بوضع الأحاديث ، وهذا
هو السر في تأخر منزلة « جامع الترمذى » عن سنن
أبى داود والنسائى .

وإذا كان « جامع الترمذى » عليه فيه مؤاخذات فله
فيه خصائص وميزات .

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ٥ ص ٢١٨

خصائصه وميزاته :

قال مجد الدين ابن الأثير في مقدمة كتابه « جامع الأصول » وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب ، وأكثرها فوائد وأحسنها ترتيبا ، وأقلها تكرارا وفيه ما ليس في غيره : من ذكر المذاهب ، ووجوه الاستدلال ، وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب ، وفيه جرح وتعديل ، وفي آخره كتاب « العلل » قد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها .

حديث ثلاثي للترمذي :

وقد علا الترمذي في جامعه حتى صار بينه وبين النبي - ﷺ - ثلاثة رواة وذلك في حديث واحد قال الترمذي في جامعه :

حدثنا اسماعيل بن موسى قال حدثنا عمر بن شاعر عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« يأتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر » .

ما انتقد على جامع الترمذى :

وقد انتقد بعض الحفاظ على الترمذى أحاديث ذكرها في كتابه وعدوها من الموضوعات كالحافظ ابن الجوزى في موضوعاته والإمام ابن تيمية وتلميذه الذهبى ، وجملة ما انتقد ابن الجوزى عليه ثلاثون حديثا ، وقد نازعه في الحكم عليها بالوضع الحافظ جلال الدين السيوطى حافظ مصر في القرن التاسع الهجرى :

وفي الحق أن كثيرا منها في الفضائل وأن منها ما يسلم الحكم عليها بالوضع لابن الجوزى ، ومنها ما لا يسلم له وأن هذه الأحاديث مما تختلف فيها أنظار العلماء ، فإذا كان المنتقد اعتبرها موضوعة ، فالإمام الترمذى لا يعتبرها كذلك ولا يكاد يوجد إمام في الحديث يذكر موضوعا وهو يعلم وضعه إلا مع التنبيه عليه ، ومهما يكن من شيء فهي أحاديث قليلة بالنسبة إلى ما اشتمل عليه الجامع من آلاف الأحاديث ، وهى لا تغض من قيمة الكتاب العلمية ، واعتباره من كتب الحديث المعتمدة ، وموسوعاته المشهورة .

شرح الجامع :

قد شرح سنن الترمذى علماء كثيرون منهم :

(١) الامام الحافظ أبوبكر محمد بن عبد الله الأشبيلي المعروف بابن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ (١) بفاس سماه : « عارضة الأحوذى (٢) » فى شرح سنن الترمذى ، تكلم فيه على الرجال والأسانيد والغريب ، وذكر فنونا من النحو ، والعقائد ، والأحكام ، والآداب والحكم والمصالح ، وقد أجاد فى ذكر توجيه الأقوال وأدلتها ، ولا سيما مذهب امامه - رحمه الله تعالى - كل ذلك فى عارضة قوية ، وبيان مشرق ، وأسلوب عربى رصين وهو مطبوع بمصر والهند .

(٢) شرح الحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ سماه « قوت المغتذى على جامع الترمذى » ذكر

(١) هذا هو الذى ذكره ابن خلكان وصححه الذهبى وقال ابن النجار فى تاريخه : توفى سنة ٥٤٦ هـ .
(٢) قال ابن خلكان فى وفياته ج ٢ ص ٢٩٣ : وأما معنى عارضة الأحوذى : فالعارضة القدرة على الكلام يقال : فلان شديد العارضة إذا كان ذا قدرة على الكلام ، والأحوذى الخفيف فى الشئ لحذقه ، وقال الأصمعى : الأحوذى المشمر فى الأمور القاهر لها الذى لا يشذ عليه شئ منها ، وهو بفتح الهزة ، وسكون الحاء المهملة ، وفتح الواو وكسر الذال المعجمة ، وفى آخره ياء مشددة .

فيه بين يدي الشرح مقدمة في الجامع ومنزلقه ،
واصطلاحاته ، وهو شرح وجيز اعتمد فيه على كلام من
سبقه ولا سيما ابن العربي المالكي وقد طبع بالهند .

وهناك شروح أخرى منها ما هو مخطوط ومنها ما
ضاع في الفتن .



الإمام النسائي

٢١٥ - ٣٠٣ هـ

نسبه:

هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام - كما وصفه الذهبي في تذكرته - أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب ابن علي بن سنان بن بحر الخراساني القاضي صاحب السنن وغيرها من الكتب القيمة .

كان إمام عصره في الحديث ، والمقدم على أضرابه ، وفضلاء عصره .

مولده:

وكان ميلاده « بنساء » سنة خمس عشرة ، وقيل سنة أربع عشرة .

نشأته وارتحاله:

وقد نشأ « بنساء (١) » وعلى تربتها ترعرع ، وفي

(١) نساء بفتح النون والسين المهملة وفي آخره همزة بلدة بخراسان خرج منها جماعة من الأعيان « وفيات الأعيان » .

مدارسها حفظ القرآن وتلقى أصول العلوم على مشايخ
بلده ولما شب عن الطوق ، وبلغ مبلغ الشباب حبيب إليه
الارتحال في طلب الحديث ولما تجاوز الخامسة عشرة
من عمره فارتحل الى الحجاز ، والعراق ، والشام ،
ومصر ، والجزيرة وسمع من علماء هذه الأمصار ، حتى
برع في علوم الحديث ، وتفرد بالمعرفة ، والإتقان ،
وعلو الاسناد .

مقامه بمصر ثم خروجه الى دمشق :

وقد طاب له المقام بمصر فاستوطنها ، وكان يسكن
« بزقاق القناديل » واستمر مقيما بها الى قبيل وفاته
بعام ، فخرج الى دمشق وهناك حدثت له حادثة كانت
السبب في استشهاده ، ذلك أنه سئل عما جاء في فضائل
معاوية - رضى الله عنه - وكأنهم كانوا يريدون منه أن
يؤلف في فضائله ، كما ألف في فضائل علي -
رضى الله عنه - فقال للسائل : ألا ترضى رأسا برأس حتى
تفضل ، وقيل إنه قال : لا أعلم له فضيلة ، فما زالوا
يدفعونه ، ويضربونه في خصيتيه ، ويدسونه حتى
أخرجوه من المسجد وقد أشرف على الموت .

وفاته :

وقد اختلف في موطن وفاته ، فقال الدارقطني : إنه لما امتحن بدمشق ، وأدرك الشهادة قال احملوني إلى مكة فحمل إليها وتوفى بها ، ودفن بين الصفا والمروة ، وكذا قال أبو عبد الله بن منده عن حمزة العقبي المصري وغيره .

وخالف في هذا الإمام الذهبي وقال : الصواب أنه توفي « بالرملة » (١) وهذا هو الذي جزم به ابن يونس في تاريخه وقال به أبو جعفر الطحاوي وأبو بكر بن نقطة ، ومع أنه توفي بالرملة فقد دفن ببيت المقدس (٢) وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثمائة (٣٠٣) هـ .

روايته :

وقد أخذ الحديث عن شيوخ كثيرين من أعيانهم : قتيبة بن سعيد ، وقد ارتحل إليه وعمره خمس عشرة سنة ، وأقام عنده سنة وشهرين ، وإسحاق بن راهويه ، والحارث بن مسكين ، وعلي بن خشرم ، وأبو داود

(١) بلدة بفلسطين .

(٢) البداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٤ .

صاحب السنن ، والترمذى صاحب الجامع وروى عنه
كثيرون منهم : أبو القاسم الطبرانى صاحب المعاجم
الثلاثة وأبو جعفر الطحاوى ، والحسن بن الخضر
السيوطى ، ومحمد بن معاوية بن الأحمر الأندلسى وأبو
بكر أحمد بن إسحاق السننى وهو راوية السنن .

صفاته :

كان حسن الوجه ، مشرق اللون ، يضرب لونه إلى
الحمرة وكان يؤثر لباس البرود اليمانية ، وكان مجتهداً
فى العبادة بالليل والنهار ، ومواظباً على الحج
والجهاد ، وقد خرج مع أمير مصر غازيا فوصفوا من
شهامته وشجاعته ، وإقامته السنن الماثورة فى فداء
المسلمين ، واحترازه من مجالس الأمير الذى خرج معه
الشيء الكثير وهكذا فليكن العلماء ، ينشرون العلم
والمعرفة ، فإذا ما دعا داعى الجهاد أسرعوا الى تلبية
النداء ، وقد أخذ نفسه بسنة نبي الله داود يصوم يوماً
ويفطر يوماً .

تحريه فى النقد وتشده فى الرواية :

قد كان النسائى شديد التحرى عن الرجال الرواة ،
ومن المتشددىن فى قبول المرويات نقل الحاكم أبو

عبد الله عن الدارقطني أنه قال : أبو عبد الرحمن النسائي مقدم على كل من يذكر بهذا العلم - علم الحديث - من أهل عصره ، وكان يسمى كتابه « الصحيح » .

وقال أبو علي النيسابوري حافظ خراسان : حدثنا الإمام في الحديث بلا مدافعة أبو عبد الرحمن النسائي ، وكان يقول : للنسائي شرط في الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج .

والعبارة وإن كان فيها شيء من المبالغة تدل - ولا ريب - على شدة تحريه في نقد الرجال ، وعلمه بالحديث ، ومبالغته في قبول الأحاديث .

فقهه :

وقد جمع إلى حفظ الحديث ، والعلم بالرجال وعلل الرويات ، الفقه والفهم .

قال الدارقطني في النسائي : « كان أفقه مشايخ مصر في عصره ، وأعلمهم بالحديث والرجال » .

وقال الحاكم أبو عبد الله: «أما كلام أبي عبد الرحمن
على فقه الحديث فأكثر من أن نذكر، ومن نظر في
كتابه السنن له تحير في حسن كلامه».

وقد ذكر ابن الأثير الجزري في مقدمة «جامع
الأصول» أنه كان شافعي المذهب، وأن له مناسك
ألفها على مذهب الشافعي - رحمه الله.

مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة منها .

- (١) السنن الكبرى .
 - (٢) السنن الصغرى وهى المسماة «بالمجتبى» .
 - (٣) الخصائص .
 - (٤) فضائل الصحابة .
 - (٥) المناسك .
- وأجلها هو كتاب السنن وستخصه بالحديث .

سنن النسائي

لما ألف الإمام النسائي كتابه « السنن الكبرى »
أهداها الى أمير الرملة فقال له : أكل ما فيها صحيح ؟
فقال له : فيها الصحيح والحسن ، وما يقاربهما . فقال
له : ميز لي الصحيح من غيره فصنف له كتاب
(السنن الصغرى) وسماه « المجتبى » (١) من السنن ،
وكتاب السنن مرتب على الأبواب الفقهية كبقية كتب
السنن الأخرى .

وقد تحوط النسائي غاية التحوط في تأليف سننه
الصغرى فمن ثم قال العلماء : إن درجة السنن الصغرى
بعد الصحيحين ، لأنها أقل السنن بعدهما ضعيفا ،
لذلك نجد أن الأحاديث التي انتقدها أبو الفرج
ابن الجوزى على السنن الصغرى وحكم عليها بالوضع
قليلة جدا ، وهي عشرة أحاديث ، وليس الحكم عليها

(١) الباء الموحدة وبعضهم يقول : المنحى بالنون والمعنى قريب .

بالوضع بمسلم له بل نازعه فيها السيوطى وخالفه في كثير منها .

وفي سنن النسائى الصغرى الصحيح والحسن والضعيف ولكنه قليل ، وأما ما ذهب إليه بعض العلماء من أن كل ما فى السنن صحيح فتساهل وقول غير دقيق ، ولعظهم أراهوا أن معظمها صحيح .

وهذه السنن الصغرى هى التى عدت من الأصول المعتمدة عند أهل الحديث ونقاده ، وأما سننه الكبرى فكان من طريقته فيها أن لا يخرج عن أجمع العلماء والنقاد على تركه .

وإذا نسب الى النسائى حديث فإنما يعنون روايته فى « السنن الصغرى » لا الكبرى ، اللهم إلا ما كان من صنيع بعض المؤلفين ، كما نبه على ذلك صاحب كتاب « عون المعبود شرح سنن أبى داود » حيث قال فى آخره :

واعلم أن قول المنذرى فى مختصره ، وقول المزى فى الأطراف الحديث أخرجه النسائى فالمراد به السنن الكبرى للنسائى ، وليس المراد به السنن الصغرى الذى

هو مروج الآن في أقطار الأرض من الهند ، والعرب ،
والعجم وهذه السنن الصغرى مختصرة من الكبرى
وهى لا توجد إلا قليلا فالحديث الذى قال فيه المنذرى
والمزى : أخرجه النسائى وما وجدته فى السنن الصغرى
فاعلم أنه فى الكبرى ولا تتحير لعدم وجدانه ، فإن كل
حديث فى الصغرى موجود فى الكبرى ، ولا عكس ،
ويقول « المزى » فى كثير من المواضع أخرجه النسائى
فى التفسير ، وليس فى السنن الصغرى تفسير .

وبعد فسنن النسائى من أجل كتب الحديث وأصوله
الموثوق بها .

شروح السنن :

لم تحظ سنن النسائى بمثل ما حظيت به كتب
الحديث المعتمدة الأخرى من الشروح ، وقد أشار الى
ذلك الإمام السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ فى شرحه حيث
قال فى مقدمته : « وهو تعليق على سنن الحافظ أبى
عبد الرحمن النسائى على نمط ما علقته على
الصحيحين ، وسنن أبى داود ، وجامع الترمذى ، وهو
بذلك حقيق إذ له مفذ صنف أكثر من ستمائة سنة ، ولم

يشتهر عليه من شرح ولا تعليق « وأشهر شروحه .

(١) شرح الحافظ جلال الدين السيوطى وهو شرح لطيف موجز ، بل هو أقرب الى التعليق سماه « زهر الربى على المجتبى » وقد عنى فيه بضبط أسماء الرواة ، وشرح الألفاظ ، والغريب ، وذكر بعض الأحكام والآداب التى اشتملت عليها الأحاديث وهو على وجازته مفيد .

(٢) شرح الشيخ العلامة أبى الحسن محمد بن عبد الهادى الحنفى المشهور بالسندى نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة ١١٣٨ هـ قال فى مقدمته :

فهذا تعليق لطيف على سنن الأمام الحافظ أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى يقتصر على حل ما يحتاج إليه القارىء والمدرس من ضبط اللغة ، وإيضاح الغريب والإعراب

وهو أوفى من شرح السيوطى ، وله فيه آراء دقيقة .

وقد طبع هذان الشرحان فى مصر والهند .

والطبعة المصرية طبع فيها متن السنن والشرحان فى كتاب واحد وكان الفراغ منها عام ١٣١٢ هـ .

(٣) شرح الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن علي
ابن الملقن الشافعي المتوفى سنة (٨٠٤) هـ وهو شرح
علي زوائده على الصحيحين وأبي داود والترمذي وهو
يقع في مجلد .



My dear Mother
I received your kind letter
of the 11th and was glad
to hear from you. I am
well and hope these few
lines will find you the same.

Yours affectionately

الإمام ابن ماجه

٢٠٩ - ٢٧٩ هـ

نسبه ومولده :

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه
الرابعي (١) القزويني صاحب السنن وغيره من الكتب
النافعة .

ولد سنة تسع ومائتين ، وتوفي لثمان بقين من
رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين وصلى عليه أخوه
أبو بكر ، وتولى دفنه أخواه أبو بكر وعبد الله وابنه
عبد الله .

(١) ماجه بتخفيف الجيم وسكون الهاء وهو الصحيح والذي عليه
جمهور العلماء لا بالتاء كما زعم البعض ، وهو لقب والده لا جده كما
قال صاحب القاموس « ج ١ ص ٢٠٨ » ونقل ابن كثير في البداية
والنهاية « ج ١١ ص ٥٢ » عن الخليلي انه قال : يعرف يزيد بـماجـه
مولى ربيعة وعلى هذا كان ينبغي ان يقال محمد بن يزيد ماجه لا :
ابن ماجه « ولكن اغلب الكاتبين عنه قالوا محمد بن يزيد بن ماجه
والرابعي نسبة الى ربيعه قال ابن خلكان في وفياته : وهي اسم
لعدة قبائل لا أدري الى أيها ينسب المذكور .

نشأته وارتخاله :

وقد نشأ محبا للعلم والمعرفة شغوفا بالحديث وروايته ، وقد ارتحل في سبيل الحديث وجمعه ، وطوف بالبلاد فارتحل الى العراق ، والحجاز ، والشام ، ومصر ، والكوفة ، والبصرة وغيرها من الأمصار والأقطار ، ولقى الكثيرين من شيوخ الحديث وأئمة ، وذاكرهم ، وأخذ عنهم وسمع من أصحاب مالك والليث - رحمهم الله تعالى - حتى غدا من أئمة هذا العلم النبوي الشريف .

« روايته »

سمع الحديث من أبي بكر بن أبي شيبة ، ومحمد ابن عبد الله بن نمير ، وهشام بن عمار ومحمد بن ربح وأحمد بن الأزهر وبشر بن آدم وغيرهم من أجلة العلماء وروى عنه محمد بن عيسى الأبهري وأبو الحسن القطان ، وسليمان بن يزيد القزويني ، وابن سيبويه ، وإسحاق بن محمد وغيرهم كثيرون .

تقدير العلماء له :

قال أبو يعلى الخليلي القزويني : ابن ماجه ثقة كبير متفق عليه ، محتج به ، له معرفة وحفظ ، ووصفه الحافظ الذهبي في « تذكرة الحفاظ » بأنه الحافظ الكبير المفسر صاحب السنن ، والتفسير ، ومحدث تلك الديار ، وقال الحافظ الناقد بن كثير في « بدايته » محمد بن يزيد (بن ماجه) صاحب كتاب السنن المشهورة ، وهى دالة على عمله وعلمه ، وتبحره ، واطلاعه ، واتباعه للسنن فى الأصول والفروع .

مؤلفاته :

له مؤلفات كثيرة منها .

(١) كتاب السنن الذى هو أحد الكتب الستة .

(٢) تفسير القرآن الكريم ، وهو تفسير جافل كما

قال ابن كثير .

(٣) كتاب التاريخ وقد أرخ فيه من عصر الصحابة

الى وقته .

سنن ابن ماجه :

- وهو أجل كتب ابن ماجه وأبقاها على الزمان ، وبه عرف واشتهر ، وقد رتبه على الكتب والأبواب .
- وقد ذكروا أن عدة كتبه اثنان وثلاثون كتابا .
- وأن جملة أبوابه ألف وخمسمائة باب .
- وجملة أحاديثه أربعة آلاف حديث .
- وهي مرتبة ترتيبا فقهيا ، وقد أحسن وأجاد حينما بدأ كتابه بباب اتباع سنة رسول الله ﷺ ، وساق فيه الأحاديث الدالة على حجية السنة ووجوب اتباعها والعمل بها .

منزلتها من كتب السنة :

من العلماء من جعل أصول كتب الحديث وينابيعه
خمس :

- ١ - صحيح البخارى .
- ٢ - صحيح مسلم .

٣ - سنن أبي داود .

٤ - سنن النسائي .

٥ - سنن الترمذي .

ولم يضموا إليها سنن ابن ماجه ، لتأخر مرتبتها
عنهم .

ومنهم من جعلها ستة بضم سنن ابن ماجه إليها ،
وأول من عدّها سادس الستة الحافظ أبو الفضل محمد
ابن طاهر المقدسي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ في كتابه « أطراف
الكتب الستة » ورسالته « شروط الأئمة الستة » ثم
الحافظ عبد الغنى بن الواحد القدسي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ
في كتابه « الإكمال في أسماء الرجال » وتابعهما كثير
من المتأخرين .

وإنما قدم هؤلاء سنن ابن ماجه واعتبروها سادس
الستة ، ولم يعتبروا موطأ الإمام مالك هو السادس
- مع أنه أصبح منها - لكثرة زوائد سنن ابن ماجه على
الكتب الخمسة بخلاف الموطأ فإن أحاديثه - إلا القليل
منها - موجودة في الكتب الخمسة مندمجة فيها ، ومن
العلماء من جعل موطأ الإمام مالك - رحمه الله - أحد
الأصول الستة ، ولم يضم إليها سنن ابن ماجه .

وأول من فعل ذلك من المؤلفين أبو الحسن أحمد
ابن رزين العبدري السرقسطي المتوفى حوالي
سنة ٥٣٥ هـ في كتابه «التجريد في الجمع بين الصحاح»
وتبعه على ذلك أبو السعادات مجد الدين بن الأثير
الجزري الشافعي المتوفى سنة (٦٠٦) هـ ، وسار على
هذا أيضا العلامة الزبيدي الشافعي المتوفى سنة ٩٤٤ هـ
في كتابه «تيسير الوصول» والحق أن الموطأ أعلا درجة
من سنن ابن ماجه ، وأنه إنما لم يجعلوه من الستة
للاعتبار الذي ذكرناه آنفا .

درجة أحاديث السنن

وسنن ابن ماجه ، فيها الصحيح ، والحسن ،
والضعيف ، بل والمنكر والموضوع على قلة ، وهي
بالنسبة لكتب السنن الأخرى متخلفة عنها ، لكثرة
الأحاديث الضعيفة التي فيها حتى قال الحافظ المزي :
إن كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة فهو ضعيف .

وكلام المزي غير مسلم ، فقد انفرد بأحاديث كثيرة
وهي صحيحة كما قال الحافظ الكبير ابن حجر .

وقد ألف الحافظ شهاب الدين البوصيري المتوفى سنة ٨٤٠ كتابا سماه « مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه » تكلم فيه على كل حديث من تلك الأحاديث الزائدة على الكتب الخمسة بما يليق بحاله من صحة أو حسن أو ضعف أو وضع .

وصنيعه هذا يرد كلام المزي ويؤيد رأى الحافظ ابن حجر وفي الحق أن مرتبة سنن ابن ماجه دون مرتبة الكتب الخمسة وأنها أكثر كتب السنن حديثا ضعيفا ولا ينبغي الاستدلال بحديث انفرد به إلا بعد البحث والتحري عن حاله فإن كان صحيحا أو حسنا احتج به وإلا فلا .

الأحاديث المنتقدة على سنن ابن ماجه :

قد انتقد بعض الحفاظ على ابن ماجه أنه يخرج عن رجال متهمين بالكذب وأنه قد ذكر بعض الأحاديث الموضوعية .

ومن هؤلاء الحفاظ أبو الفرج ابن الجوزى فقد انتقده في ثلاثين حديثا وعددها من الموضوعات ، وقد نازعه السيوطى فى الحكم عليها بالوضع .

والحق أن ما يسلم منها لابن الجوزي كثير ، وبعض هذه الأحاديث مما أجمع النقاد على وضعه .

ومهما يكن من شيء فالأحاديث الموضوعة التي فيه قليلة بالنسبة الى جملة أحاديث الكتاب التي تزيد عن أربعة آلاف حديث ، فهي لا تغض من قيمة الكتاب كأصل من أصول السنة ، وينبوع من يتابعها ، والواجب كما قلت أن لا يؤخذ بحديث مما انفرد به الا بعد البحث والتحري عن رواته ، والتأكد من صلاحيته للاحتجاج به .

ثلاثيات ابن ماجه :

قد علا ابن ماجه في بعض الأحاديث حتى صار بينه وبين النبي - ﷺ - ثلاثة رجال وهي ما تعرف بالثلاثيات .

شرح السنن :

من أشهر شروح سنن ابن ماجه :

(١) شرح الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى

(٩١١) هـ وسمى شرحه « مصباح الزجاجاة على سنن ابن ماجه » وقد جرى فيه على طريقته في شرح الكتب الستة ، وهي الإيجاز والاقتصار على المهم .

(٢) شرح الشيخ السندی المدنی المتوفى (١١٣٨) هـ ، وهو شرح وجيز ، اقتصر فيه على المهمات .
وقد طبع هذا الشرح على هامش متن السنن .



Page 10

... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

Page 11

نتائج البحث

وبعد :

فقد وفينا بما وعدناك به - أيها القارئ الفاضل - من التعريف بالكتب الستة ومؤلفيها ، ولا نرى حرجا بعد هذا المطاف الطويل بك من أن نصعد بهذه النتائج :

(١) أن تدوين السنة وإن كان بدأ بصفة عامة في آخر القرن الأول الهجري ، إلا أن التدوين الخاص قد وجد قبل ذلك في عصر الصحابة بل وفي عصر النبي ﷺ .

(٢) أن الصحابة في العصر النبوي وبعده والتابعين ، قد عنوا عناية فائقة بحفظ السنن ، والحفاظ عليها في صدورهم وعلى صفحات قلوبهم ، ولا سيما أنهم كانوا ذوي آذان واعية ، وحوافظ قوية ، وأذهان حادة ، وقلوب مشرقة مضيئة ، ونفوس مستعدة لما يلقي إليها من قرآن أو سنة .

(٣) أنهم كما عنوا بحفظ الأحاديث والسنن عنوا بتبليغها للناس لأنهم يعلمون أنها شرع واجب البلاغ، وكانوا يبلغونها بلفظها غالباً فإن تعذر عليهم الأداء باللفظ أدوها بالمعنى مع غاية التصوط من التزويد والاختلاف، أو التحريف والتغيير .

(٤) أن الأئمة الجامعين للسنة المدونين لها وإن كانت مهمتهم الجمع فقد كانوا يفقهون الأحاديث ويفهمونها، ويعرفون مغازيها ومقاصدها، وصنيعهم في كتبهم الحديثية التي ذكرناها أكبر شاهد على ذلك .

وكانوا يقصدون بهذا الجمع الذي بذلوا فيه الأعمار، توجيه الأمة إلى العمل بسنة رسول الله ﷺ، وإيقافها على ما فيها من أحكام وآداب ومواعظ وأخلاق يصلح عليها أمر المجتمع ويستقيم بناؤه .

(٥) وأن الأئمة الجامعين للسنة عنوا - مع الجمع - بنقد الأسانيد والمتون، فقد شرحوا الرجال، وخبروهم بمخبر النقد الصحيح ولم يقبلوا راوية إلا بعد أن تحروا عنه، ووثقوا من دينه، وعقله، وعدالته، وأمانته، وكذلك عنوا بنقد المتون نقداً علمياً أصيلاً يمتاز

بالتروى والاتئاد والتبصر لا بالتهجم ، والتسرع
والدعاوى التى لم يقم عليها دليل .

وإذا كان الله سبحانه قد تعهد بحفظ كتابه ، فقد قيض
لسنة نبيه أئمة عدولا ينفون تحريف الغالين ، وانتحال
المبطلين وتأويل الجاهلين .

(٦) أن كتب الحديث الستة تعتبر أهم ينباع التى
تستقى منها السنة ، وأن أصحاب هذه الكتب قد بدّلوا
أقصى ما يستطيعه الجهد الإنسانى فى البحث عن الحقيقة
والتحرى عن الصدق .

ولسنا ندعى لهم العصمة فالعصمة إنما هى لله
ولرسله ، وحسبهم فضلا أنهم اجتهدوا فيما جمعوا ،
وفى ما صححوا أو ضعفوا ، وأنهم لم يدعوا وسيلة من
وسائل الوصول الى الحق إلا حصلوها ، فلهم كفاء ما
قدموا من عمل الأجر الجزيل من الله سبحانه .

(٧) أن هناك كتباً أخرى فى منزلة الكتب الستة أو
تدانيها كموطأ الإمام مالك ، ومسند الإمام أحمد ،
وصحيح ابن خزيمة وغيرها كثير فيها من الأحاديث
الصحاح والحسان شىء كثير جدا .

فإذا كنا اقتصرنا على الستة فلشهرتها وعناية الناس
بها شرقا وغربا ، وعسى أن تكون لنا عودة في رسالة
أخرى نعرف بباقي كتب السنة والأحاديث .

هذا وإن كان ما قلته صوابا فمن الله ، وإن كانت
الأخرى فحسبي أنى أردت الحق ، وما توفيقى إلا بالله
عليه توكلت وإليه أنيب والحمد لله فى النهاية كما
حمدناه فى البداية ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى
العربى وعلى آله وصحبه وسلم .

أبو السادات

محمد محمد أبو شهبه



الفهرس

الصفحة	الموضوع
	تقديم : لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد السيد أحمد سعود
٣	وكيل الأزهر والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
٧	مقدمة
٩	منزلة السنة في التشريع
١١	منزلة السنة من القرآن
١١	أمثلة من بيان السنة للقرآن
١٤	استقلال السنة بالتشريع
١٥	حجية السنة
١٩	حديث عرض السنة على القرآن موضوع
٢٠	عناية الصحابة بالأحاديث النبوية
٢٣	النهي عن كتابة الأحاديث في العصر النبوي
٢٦	كتابة الحديث بعد وفاة النبي
٢٨	تدوين الحديث تدوينا عاما
٣٠	نشاط الأئمة في التدوين
٣١	شيوخ التدوين في الحديث
٣٣	العصر الذهبي لتدوين الحديث
٣٩	الرحلة في سبيل العلم والحديث
٤٣	مميزات الرواية في الإسلام

الصفحة	الموضوع
٤٧	الاسلام يدعو الى التثبيت في الرواية
٤٩	التثبيت في عهد الصحابة
٥٠	التثبيت في عهد التابعين ومن بعدهم
٥١	الجمع والنقد سارا جنبا الى جنب
٥٢	الحياة السياسية في القرن الثالث
٥٤	الحياة السياسية في هذا القرن
٥٥	الحياة العلمية في هذا القرن
٥٧	الامام البخارى
٧٥	الجامع الصحيح
٩٥	عدد احاديث الجامع الصحيح
١٠٩	صحيح الامام مسلم
١٢٩	الامام ابو داود
١٣٧	كتاب السنن لابي داود
١٤٥	الامام الترمذى
١٥٩	الامام النسائى
١٦٥	سنن النسائى
١٧١	الامام ابن ماجه
١٨١	نتائج البحث

كلمة الإشراف الفنى

تم بحمد الله - تعالى - إعادة طبع كتاب « فى رحاب السنة - الكتب الصحاح الستة » لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبه ، وهو كتاب قيم يحتاج إليه كل مشتغل بالسنة وكل طالب علم فى هذا الميدان .

والمؤلف رحمه الله - تعالى - متخصص فى هذا المجال ، وله فيه باع طويل ، وفى هذا الكتاب أوضح لنا قيمة السنة ومنزلتها وحاجتنا إليها ، كما تحدث عن الكتب الصحاح الستة ، وعن أصحابها فى عجالة مفيدة ونافعة .

نرجوا الله - سبحانه - أن يرحم مؤلف هذا الكتاب ، وأن ينفع به المسلمين جميعا .

والله الهادى الى أقوم طريق .

الإشراف الفنى

طوسون ابراهيم